

البيباير سنوده الثالث

تأملات في

الميلاد



البابا شنودة الثالث

تأملات في الميلاد

**Contemplation on
The Nativity of Our Lord**

by

H.H. POPE SHENOUDA III

2nd Reprint

الطبعة الثانية

القاهرة في ديسمبر ١٩٨٠

كيهك ١٦٩٧



قداسة البابا شنوده الثالث

H.H. Pope Shenouda III

فهرست

- ٦ تصدير
- ٧ الفصل الأول : أخلى ذاته
- ٤١ الفصل الثاني : ملء الزمان
- ٤٩ الفصل الثالث : عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا
- ٥٩ الفصل الرابع : مصالحة السماء والأرض
- ٧٩ الفصل الخامس : دروس من حياة العذراء



باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تصدير

المحاضرات التي بين يديك ، ألقيت في القاعة المرقسية بدير الأنبا
رويس خلال سنتي ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، وقد سبق نشرها . وها نحن نعيد
نشرها مرة أخرى .

وسيصدر بعدها إن شاء الله موضوع آخر هو :

أسئلة عن الميلاد

يشمل أهم الأسئلة التي يلقيها الناس حول الميلاد ، وأسباب التجسد
الإلهي ، وسلسلة الأنساب ، وحقيقة النجم الذي ظهر للمجوس ، وقرابة
العذراء لأليصابات ... إلخ . وماذا قال الآباء القديسون في الإجابة عن
هذه الأسئلة وأمثالها .

إننا نريد أن نضع أمامك صورة ، نحاول أن تكون متكاملة ، عن
ميلاد الرب ، في روحياته ، وفي علامات الإستفهام المحيطة به ...

ونطلب من روح الرب أن يرافق كل نقطة ،
وأن يجعلها منه ، لا منا ...

شهادة الثالث



أَفْخَى زَاتَهُ

« فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى
المسيح يسوع أيضا ، الذى اذ كان
فى صورة الله لم يحسب خلسة أن
يكون معادلا لله .

لكنه أخلى ذاته آخذا صورة عبد ،
صائرا فى شبه الناس . واذ وجد
فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع
حتى الموت ، موت الصليب .

(فيلبى ٢ : ٥ - ٨)

مقدمة

ان السيد الرب ، اذ اخلى ذاته واخذ شكل العبد ، لم يقتصر ذلك على حادثة الميلاد فحسب ، بل شمل ذلك حياته كلها التي لا تدخل تحت حصر .

ميلاد المسيح المتواضع كان مجرد مظهر من مظاهر اخلاء الذات وسنحاول أن نتتبع اخلاء الرب لذاته في كل ناحية ... ونحاول أن ندرك الأسباب التي من أجلها أخلى ذاته ... ثم نأخذ لأنفسنا عظة عملية ، محاولين أن نطبق عنصر الاخلاء في حياتنا ...

وعلينا أن نفهم بالدقة : ما هو معنى اخلاء الذات ...

انه لم يخلها طبعاً من جوهره ولا من طبيعته ولا من لاهوته الذي لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . بل اخلى ذاته من الأمجاد المحيطة به ومن عظمة السماء . وسنشرح هذا وغيره بالتفصيل في الصفحات المقبلة ...

جميل بنا أن نلاحظ أن هذا الاخلاء لم يكن اقلالا من شأن الرب ، وانما هو عظمة جديدة في مفهومها . كان الناس يفهمون العظمة في مظاهر خارجية . أما عظمة من يخلي ذاته ويأخذ شكل العبد ، فلم يكن أحد يتصورها . هذه قدمها الرب لنا ...

أُنْهَى زَاثَهُ فِي مِيلَادِهِ

عجيب هو الرب في اتضاعه ، عندما أخلى ذاته في ميلاده .

● نزل الى العالم هادئا بدون ضجة ، ودخله في خفاء لم يشعر به أحد لم يحدد من قبل موعد مجيئه .

وهكذا ولد في يوم مجهول ، لم تستعد له الأرض ولا السماء ، ولم يستقبله فيه أحد . يوم ميلاده كان نكرة بالنسبة الى العالم ، مع أنه من أعظم الأيام اذ بدأ فيه عمل الخلاص الذي تم على الصليب .

لو نزل الرب الى العالم في صفوف ملائكته ، على سحابة عظيمة ، أو في مركبة نورانية يحيط به الشاروبيم والسارافيم وقد ارتجت له السموات وكل قوى الطبيعة أو لو أن السماء احتفلت بميلاده ، ليس بنجم بسيط يظهر للمجوس ، بل اهتزت له كل نجوم السماء وكواكبها لو حدث ذلك ، لقلنا انه أمر يليق بالرب ومجده

لو أن شخصا كان مسافرا الى مكان ما ، لأرسل الرسائل قبلها ، فيستقبله الأحياء والأصدقاء والأقارب والمعارف

والمريدون ، وربما يستاء اذ قصر أحد فى انتظاره أو فى استقباله ...

أما السيد المسيح فدخل الى العالم فى صمت ، بعيدا عن كل مظاهر الترحيب ، فى غير ضجيج ، وبطريقة بسيطة هادئة ... دخل العالم بنكران عجيب للذات ، أو فى اخلاء عجيب للذات وكل الذين استقبلوه جماعة من الرعاة المساكين ، ثم المجوس ...

● هناك أشخاص يحبون الضجيج وبهرجة الترحيب فى دخولهم وفى خروجهم ، لأن فاعليه ميلاد المسيح لم تغيرهم بعد ...

لم يخل المسيح ذاته فى هدوء مجيئه الى العالم فحسب ، بل فى كل ظروف ميلاده . فكيف كان ذلك ؟

● **ولد من أم فقيرة يتيمة** ، لم تكن تجد من يعولها .
عهد بها الكهنة الى يوسف ، خطبوها له لتعيش فى كنفه .
وولد فى قرية هى « الصغرى بين رؤساء يهوذا »
(متى ٢ : ٦)

وسكن فى الناصرة التى يعجب الناس ان أمكن أن يخرج منها شيء صالح (يو ١ : ٤٦) . ودعى ناصريا

وعاش فى بيت نجار بسيط ، حتى كانوا يعيرونه قائلين « أليس هذا هو ابن النجار » (متى ١٣ : ٥) .

وعاش ثلاثين سنة مجهولا ، كفترة تبدو ضائعة فى التاريخ . حتى الرسل لم يعتنوا أن يكتبوا عنها شيئا تقريبا

... عاش فيها دون أن يلتفت اليه أحد ، مخفى لا يعرف عنه أحد شيئاً ، كأي شخص عادى ... بينما تلك السنوات الثلاثون هي فترة الشباب والقوة التي يهتم فيها كل انسان بذاته ، ويود فيها كل شاب أن يظهر وأن يعمل عملاً ...

● أخلى الرب ذاته فعاش في التطورات الطبيعية كسائر البشر .

قضى فترة كرضيع وكطفل . ولم يستح من ضعف الطفولة
... بما فيها من احتياج الى معونة آخرين ، وهو معين الكل !
احتاج الى رعاية أم ، وهو راعي الرعاية ! احتاج الى امرأة من صنع يديه ، تحمله على يديها ، وتهتم به ، وهو المهتم بكل أحد . وتغذيه ، وتعطيه لياكل ويشرب !

ومن العجيب في طفولته ، أنه أخلى ذاته من استخدام قوته . فهرب من أمام هيرودس ، بينما روح هيرودس في يده ! هرب من هيرودس وهو الذي خلق هيرودس ، وأبقاه حتى ذلك اليوم . عجيب هذا الأمر ... عجيب أن نرى القوى القادر على كل شيء ، يهرب مثل سائر الناس الذين يهربون من الضيق ! يهرب من القتل وهو الذي يملك الحياة والموت ... وجاء الى مصر ، وعلش فيها سنوات . ولم يرجع الا بعد أن هدأ الجو ، بينما كاف يستطيع أن يفلت من الرجل بطريقة معجزية أو يقضى عليه ...

أخلى ذاته ، فاحتمل ضعف البشرية وهو المنزه عن كل

**ضعف • وسمح لنفسه أن يجوع ويعطش ويتعب وينام ،
كسائر البشر ...**

عجيب أن يقال عن الرب انه فى آخر الاربعين يوما « جاع
أخيرا » (متى ٤ : ٢) • وعجيب أن هذا الينبوع الذى روى
الكل يقول للسامرية « اعطينى لأشرب » (يو ٤ : ٧) ،
ويقول على الصليب « أنا عطشان » (يو ١٩ : ٢٨) •
وعجيب أن يقال عنه انه تعب وجلس عند البئر (يو ٤ : ٦)
وانه نام فى السفينة (لو ٨ : ٢٣) •

● أخلى الرب ذاته كل هذا الاخلاء ، ليخزى الذين
يفتخرون ويتكبرون •

وكأنه يقول لكل هؤلاء : اننى لم أولد فى قصر ملك ،
ولا على سرير من حرير ، وانما فى مزود للبهائم • ولكنى
سأجعل هذا المزود أعظم من عروش الأباطرة والملوك ...
سيأتية الناس من مشارق الشمس الى مغاربها ليتباركوا منه •

**ليس المكان هو الذى يمجد الانسان ، ولكن الانسان هو
الذى يمجد المكان • والعظمة الحقيقية انما تنبع من الداخل •**

فليحل الرب فى أى مكان ، ولو كان مكانا للبهائم ،
وليولد فى أية قرية ولو كانت هى الصغرى فى يهوذا •
ولكنه سيرفع من شأن كل هذا ... يولد فى هذه الحقارة ،
ويحول الحقارة الى مجد •

يولد من فتاة فقيرة ، ويجعلها أعظم نساء العالم ...
ويولد فى بيت رجل نجار بسيط ، فيحواله الى رجل قديس
مشهور فى الكنيسة ...

أُخْطَى زَواتِهِ مِنْ ظِلالِ العِظْمَةِ

أخلى ذاته من صفة الملك :

كان يمكن لمعلمنا الصالح أن يأتى كملك • ولو أتى كذلك ، ما كان أحد ينكر عليه أنه ملك • فهو من سبب يهوذا صاحب المملكة ، ومن نسل داود الملك • ولكنه أخلى ذاته من الملك ، وهو ملك الملوك (رؤ ١٧ : ١٤) •••

لم يأت فى هيئة ملك • لأن اليهود فى تفاخرهم بالعظمة البشرية ، كانوا ينتظرون أن يأتى المسيا كملك عظيم ، لأنهم كانوا يظنون أن عظمة الملوك هى التى تخلصهم • وكان رأى الرب أن يحطم هذه الفكرة أيضا • فلم يخلصهم بعظمة الملوك ، بل بتواضع النجار الناصرى ، الذى استهانوا به قائلين « أليس هذا هو ابن النجار ؟! » (متى ١٣ : ٥) « أليس هذا هو النجار ابن مريم ؟! » (مر ٦ : ٣) •

أتى كنجار بسيط ، ولم يأت كملك • ولما سعى اليه الملك ، رفضه وهرب منه • ولما « رأى انهم مهتمون أن يأتوا ليختطفوه ويجعلوه ملكا ، انصرف الى الجبل وحده » (يو ٦ : ١٥) •

ورضى ان يحاكم امام عبيده ، امام بيلاطس وهيرودس ،
وأمام أعضاء مجلس السنهدريم ٠٠٠ وكان يقول « مملكتى
ليست من هذا العالم » (يو ١٨ : ٣٦) .

أخلى ذاته من صولجان الملك ومن الكرامة المقدمة للملوك ،
مفضلا أن يحاط بمحبة القلوب المطائعة لقلبه ، وليست
الحائفة من سطوة سلطانه ٠٠٠

اخلى ذاته من كرامة الرئاسة :

لم يطلب أن يكون رئيسا لتابعيه ، أو سييدا ٠٠٠ وانما
صديقا لهم . وهكذا قال لتلاميذه « لا أعود أسميكم عبيدا
٠٠٠ لكنى سميتكم أحباء » (يو ١٥ : ١٥) . وخاطبهم فى
احدى المرات قائلا « أقول لكم يا أصدقائى ٠٠٠ ،
(لو ١٢ : ٤) .

واخلى ذاته للدرجة أنه انحنى وغسل أرجلهم ٠٠٠

لم يعامل الناس كعبيدا من صنع يديه ٠٠٠ بل كانت
تربطه بهم رابطة الحب لا رابطة الرئاسة . ان البشر هم الذين
يستهوئهم حب الرئاسة والسلطان ٠٠٠ أما معلمنا المتواضع
**فكان يريد قلوب الناس لا خضوعهم ، وكان يريد محبتهم
لا تذلهم . ولم يقم نفسه رئيسا للناس بل صديقا .**

لذلك كان محبوبا لا مخافا . يهابه الناس عن توقير ،
لا عن رعب . لم يرد ان تكون له الرهبة التى ترعب الناس ،

بل الحب الذى يجذب الناس • وهكذا أمكن للأطفال أن تلتف حوله ، وأمكن ليوحنا أن يتكىء على صدره •

ان كل من يحب العظمة ، لم يتمتع بفاعلية الايمان بعد •
قال الأنبا أنطونيوس مرة لأولاده « يا أولادى ، أنا لا أخاف الله » • فأجابوه « ان هذا الكلام صعب يا أبانا » •
فقال لهم « ذلك لأنى أحبه • والمحبة تطرد الخوف الى خارج ،
(ايو ٤ : ١٨) •

ان أهل العالم يحبون السلطة والنفوذ والسيطرة • يريدون أن يخافهم الناس ، ولو عن قهر • أما المسيح الهنا فيقول « من يحبنى يحفظ وصاياى » • يعنى أن حفظ وصاياها يكون عن حب وليس عن خوف •••

حتى فى صنع المعجزات •••

أخلى الرب ذاته ، فلم يستخدم قوته على صنع المعجزات الا فى الضرورة القصوى •

لم يستخدم قوته من أجل ذاته ، ولا من أجل منفعة خاصة لم يستخدم لاهوته ليمنع عن نفسه الجوع أو العطش أو التعب أو الألم • رفض أن يحول الحجارة الى خبز لسد جوعه الشخصى ، بينما بارك الخمس خبزات من أجل اشفاقه على الناس •

لم يستخدم قوته ليبهر الناس بالمعجزات ، ولا من أجل الايمان • وعندما كانوا يطلبون منه معجزة لأجل (الفرجة) لم يكن يقبل • بل كان يبكتهم قائلاً « جيل فاسد وشريير

يطلب آية ولا تعطى له ٠٠٠ ، (متى ١٢ : ٣٩) . لم يبهر
الناس بالمعجزات مثلما فعل سيمون الساحر ، ومثلما فعلت
عرافة فيلبى ، ومثلما سيحدث فى الأزمنة الأخيرة من المسيح
الذجال والوحش والتنين ٠٠٠

**رفض أن يلقى نفسه من على جناح الهيكل ، لتحمله
الملائكة .** ويرى الناس المنظر فيندهلون ويؤمنون معجبين
بعظمته !٠٠ رفض ذلك ، لأنه أخلى ذاته من اعجاب الناس .
ان معلمنا الصالح لم يحط نفسه بالمجد ، لأنه أراد أن يلتف
الناس حول التواضع وليس حول المجد .

**ومعجزة كحادثة التجلى التى كان يمكن أن تبهر الجماهير،
لم يشأ أن يراها كل الشعب ، ولا حتى كل تلاميذه الاثنى
عشر ، بل رآها ثلاثة فقط ، وأوصاهم ألا يظهروها ٠٠٠** كان
زاهدا فى كل هذه الأمور التى يبحث عنها من يريدون أن
يظهروا ذواتهم ٠٠٠ بل أكثر من هذا انه بعد كل معجزة
تبهر البصر كان يخفى تلك المعجزة بعمل من أعمال الضعف
البشرى أو بكلام عن آلامه ٠٠٠ أو يطلب ممن حدثت معه
أن يخفيها ٠٠٠

وحتى من أجل الايمان لم يشأ أن يبهر الناس بالمعجزات .
أراد أن يكون ايمانهم بدافع من الحب والافتناع وليس بسبب
المعجزات . وما الدليل على هذا ؟

**دليلنا انه كان يطلب الايمان قبل المعجزة ، وليس
كنتيجة لها .** وكثيرا ما كان يسأل الذى يجرى معه المعجزة

« أتؤمن ؟ » ، أو يقول له « ليكن لك حسب ايمانك » . وان كان يؤمن قبلا تحدث معه المعجزة ... ولذلك قيل عنه أنه في وطنه « لم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم » (متى ١٣ : ٥٨) . كان الايمان يسبق المعجزة . وكانت المعجزة نتيجة للايمان وليس سببا .

وكثير من معجزات السيد الرب كانت أعمال رحمة وحب

وكانت لها أهداف روحية ... تتبعوا عنصر الحب والحنان في معجزات الرب يظهر لكم واضحا وجليا . وهكذا نرى في معجزة اقامة العازر أنه بكى قبل أن يقيمه . ان الحب الذي كان يعتصر قلبه ، ظهر أولا في عينيه الدامعتين ، قبل أن تظهر قوته في عبارة « هلم خارجا » . وكثير من معجزات الشفاء كانت تسبقها عبارة « فتحن يسوع » أو « أشفق » أو ما شابه ذلك ...

ولم يستخدم معجزاته في الدفاع عن نفسه ، أو في

الانتقام من مضطهديه وشاتميه . أهانوه بكل أنواع الاهانة ، وأشبعوه شتما وتعييرا . وكان يستطيع أن يجعل الأرض تفتح فاها وتبتلعهم ، أو تنزل نار من السماء وتفنيهم . ولكنه لم يفعل . كان قد أخلى ذاته من استخدام هذه القوة التي فيه .

وعاش بغير لقب ، وبغير وظيفة :

● **عاش السيد المسيح بغير لقب ، وبغير وظيفة رسمية**

في المجتمع ، وبغير اختصاصات في نظر الناس ... ماذا

كانت وظيفة المسيح في نظر المجتمع اليهودي ، أو في نظر الدولة؟! لا شيء . . . كان أمامهم مجرد رجل يجول من مكان الى آخر ، يعمل ويعلم ، دون أن يستند الى وضع رسمي . . .

● **لم يكن من أصحاب الرتب الكهنوتية في نظر الناس ،**
لأنه لم يكن من سبط لاوى ولا من أبناء هارون . فقد كانت أمه ويوسف النجار من سبط يهوذا .

ووصل اخلاؤه لذاته في هذه الناحية ، أنه عندما شفى الرجل الأبرص ، قال له « اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم القربان الذى أمر به موسى » (متى ٨ : ٤) . يالها من عبارة مؤثرة للغاية!! تصوروا رئيس الكهنة الأعظم ، منشىء الكهنوت ومؤسسه ، ومنبع كل سلطة كهنوتية ، يقول للأبرص « اذهب أر نفسك للكاهن »!! . . .

وماذا عنك أنت يارب ، أنت الكاهن الى الأبد على طقس ملكى صادق؟ لماذا ترسلنى الى كاهن ، وأنت راعى الرعاة وكاهن الكهنة؟! ما أعجبك فى اخلائك لذاتك! تتصرف كمن لا سلطة له ، وأنت مصدر كل سلطة!!

● **وعاش السيد المسيح بدون أى مركز اجتماعى ، ولم تكن له أية صفة رسمية على الإطلاق . حتى فى وضعه كمعلم . . .**
لم يكن من طوائف الكتبة والفريسيين المؤتمنين على التعليم فى ذلك الحين ، ولا من جماعة الكهنة الذين من أفواههم

تطلب الشريعة (أر ١٨ : ١٨) ، ولا من الشيوخ ولا من
البارزين في المجتمع ...

وعلى الرغم من كل ذلك ، ملا الدنيا تعليماً ، وكانوا
يلقبونه بالمعلم ، والمعلم الصالح ، ودعى معلماً حتى من
أصحاب المكانة العلمية كالكتبة والفريسيين ...

**وهكذا أرانا كيف يمكن ان يعيش الشخص بلا لقب ،
ومع ذلك يعمل أكثر من أصحاب الألقاب !!**

وفي حياته كمعلم ، عاش وقد أخلى ذاته من كل شيء :

لم يكن له مكان يعلم فيه ...

أحياناً كان يعلم وهو جالس على الجبل ، وأحياناً يكلم
الناس وهو واقف في سفينة ، وهم جلوس على الشاطئ ...
وأحياناً كان يعلم وهو في وسط الزروع والبساتين ، يتأمل
مع تلاميذه زنابق الحقل وطيور السماء ... وأحياناً كان
يعلم في الحلاء ، في موضع قفر ، في البرية . وأحياناً في
الطريق ... وعلى العموم لم يكن له مكان خاص للتعليم ،
لا مركز ثابت . ولا مكان ثابت ... بل لم يكن له أين يسند
رأسه (لو ٩ : ٥٨) .

واذ أخلى ذاته من الارتباط بمكان معين ، أصبح له كل
مكان ...

**عجيب أن الله الذي ملا السموات والأرض ، لم يكن له
أين يسند رأسه ... عندما ولد يقول الكتاب « لم يكن له**

موضح في البيت ، (لوقا ٢ : ٧) . وطول فترة تجسده
على الأرض لم يكن له مسكن معين . يذهب أحيانا الى بيت
مريم ومرثا ، وأحيانا الى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس ،
وأحيانا الى بيت سمعان ، وأحيانا الى بستان جثيماني
... ما أعجب قول الكتاب « ومضى كل واحد الى بيته ، أما
يسوع فمضى الى جبل الزيتون » (يو ٨ : ١) ...

والذين كانوا يتبعونه ، كانوا يسرون وراء المجهول ...
لا يعرفون لهم موضعا ولا مركزا ، ولا مالية معينة ، ولا عملا
معلوما . عندما قال السيد لمتى اللاوى « اتبعنى » ، تبعه
متى ... ولو سألته « الى أين ؟ » لما عرف كيف يجيب ...
ولو سألته ماذا ستعمل ؟ لوقف أمام علامة استفهام لا جواب
لها . لقد أراد الرب لتلاميذه أن يدخلوا ذواتهم أيضا ... هم
مجرد تلاميذ ، لا يعرفون لهم عملا سوى أن يتبعوا المسيح ،
الذى لا يعرفون له وظيفة ولا عملا رسميا ولا مكانا ثابتا ...

يعيط به جماعة من المساكين :

وكما أخل المسيح ذاته ، أحبه الذين أخلوا ذواتهم ، أو
الذين لا ذوات لهم : فاحاطت به مجموعة من الفقراء
والمساكين والمزدرى وغير الموجود ... جماعة من جهال العالم
وضعفاء العالم وأدنياء العالم (اكو ١ : ٢٧ ، ٢٨) . وهكذا
اختار تلاميذه : جماعة من الصننادين الجهلة ، كما اختار واحدا
من العشارين المرفولين .

والذين أحاطوا به كانوا من عامة الشعب: الأطفال الذين لا يعتد بهم أحد ، والخطاة والعشارين الذين يحسروهم الناس ، والنساء أيضا اللاتي لم تكن لهن مكانة في المجتمع اليهودي وهكذا كانت نسوة كثيرات يتبعنه (لو ٢٣ : ٢٧) وحول صليبه وقفت النسوة لا شيوخ الشعب وبكت عليه بنات أوولشليم (لو ٢٣ : ٢٨) ولم يبك عليه أعضاء مجلس السنهدريم ! . . .

عاش انسانا بسيطا بلا مركز وبلا لقب ، يحيط به أشخاص مجهولون بلا مركز وبلا لقب أيضا

وحتى لقبه الطبيعي « ابن الله » ، لم يستخدمه كثيرا وكان يستبدله في غالب الأحيان بلقب « ابن الانسان » !
عاش وسط الشعب ، لا وسط الرؤساء . وكان قريبا من الصغار ، بعيدا عن الكبار المعتبرين ، يحبه الشعب وينسطه الرؤساء وحسنا تنبأ عنه داود قائلا « الأعداء قاموا على » (مز ٥٤ : ٣) « الرؤساء اضطهدوني بلا سبب » (مز ١١٩ : ١٦١)

حتى الذين استضافوه كانوا من البسطاء أو من المحتقرين فدخل بيت متى ، ولم يدخل بيت بيلاطس ولا بيت هيرودس ودخل بيت زكا ، ولم يدخل بيت حنان ولا بيت قيافا

عاش فقيرا :

أخلى ذاته من المال والجاه ، فعاش فقيرا لا يملك شيئا

وهو معنى الكل • حتى أنهم لما طلبوا منه الجزية لم يجد ما يعطيه لهم ، فطلب من بطرس أن يلقي الشبكة ويصطاد ويدفع لهم (متى ١٥ : ٢٧) •

وعاش مرفوضا •••

« الى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١)
كنور أشرق فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه (يو ١ : ٥) ،
بل أحب الناس الظلمة أكثر من النور ••• (يو ٣ : ١٩)
وأصبح الاتصال به تهمة ، والتلمذة له عارا •••

حتى ان نيقوديموس عندما أراد مقابله ، قابله فى الخفاء ، سرا وليلا (يو ٣ : ٢) وحتى أن اليهود فى اهانتهم للمولود أعمى اذ آمن بالمسيح بعد شفائه ، شتموه قائلين له أنت تلميذ ذاك (٩ : ٢٨) وهكذا أصبحت التلمذة لذاك الناصرى من أنواع السب ووصمة عار • وجاء الوقت الذى أصبح فيه تلاميذه مغلقين على أنفسهم فى العليقة لا يستطيعون الخروج منها ، خوفا من مسبة انتسابهم لذاك الناصرى •••
وهكذا وجدنا عملاقا عظيما كبطرس تبرأ من المسيح ومن الانتساب اليه ، وأخذ يلعن ويحلف قائلا انه لا يعرف الرجل (من ١٤ : ٧١) •

وعاش مضطهدا فى حياته •••

ان السيد الرب لم يخل ذاته من المجد اللائق أن يخيط بلاهوته ، بل أخلى ذاته حتى من مجد البشرية أيضا ، فكان

محتقرا ومخذولا من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن . .
محتقر فلم يعتد به « (أش ٥٣ : ٢٠ ، ٣)

أمسكوا مرة حجارة ليرجموه (يو ١٠ : ٣١) . ومرة
أخرى « أخرجوه خارج المدينة وجاءوا به الى حافة الجبل حتى
يطرحوه الى أسفل (لو ٤ : ٢٩) . . . وطاردوه فى كل
مكان ، محاولين أن يصطادوه بكلمة . . ولم تكن له كرامة
فى وطنه .

**وتقبل كل هذه الالهانات الكثيرة ، وهو الذى لم يفارق
لاهوته ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . . .**

قالوا له انك سامرى وبك شيطان ! وقالوا عنه انه
أكول وشريب خمر ، ومجدف ، وضال ، ومضل . قالوا انه
ناقض للمشرية وكاسر للسبب ، وانه ببعلزبول يخرج
الشياطين . فبماذا أجاب المسيح ؟ ما أجمل قول القديس
الغريغورى « من أجلى احتملت ظلم الأشرار . بذلت ظهرك
للسياط ، وخديك أهملت للطم ، . . .

**كيف أن هذا الذى تجثو أمامه كل ركبة مما فى السماء
وما على الأرض ، الذى ليست السموات ظاهرة قدامه ، كيف
انه « لم يرد وجهه عن خزي البصاق » ؟! الجواب الوحيد انه
اخذ فاته .**

وهكذا ضربوه ولطموه . . . ما أعجبه فى اخلائه لذاته !
يصل الأمر بخالق السماء والأرض أن يسمح لانسان من

تراب أن يصفعه على وجهه ، ويقبل ذلك ويسكت ! .. « ظلم
أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشاة تساق الى الذبح ،
وكنعجة صامته أمام جازيها ، فلم يفتح فاه » (أش ٥٣ : ٧)

ووصلت الاستهانة باله الكل الذى أخلى ذاته ، الى أنهم
فضلوا عليه رجلا قاتلا ولصا هو باراباس ، طالبين أن
يصلب المسيح . بل وصلت المهانة باله الكل الى أن أصبح
ثمنه ثلاثين من الفضة ، ثمن عبد !!

انه لم يأخذ فقط شكل العبد ، وانما بيع أيضا بثمن عبد
... استغل الناس اخلاءه لذاته ... فلم يمتنع عن اخلاء
ذاته ، من أجل الناس .

وكما عاش مضطهدا في حياته ، عاش مضطهدا بعد مماته
أيضا . فحتى قبره كانت تحرسه الجنود المدججة بالسلاح ،
خائفين ان (ذلك المضل !!) يقوم ، « فتكون الضلالة الأخيرة
أشر من الأولى » (متى ٢٧ : ٦٣ ، ٦٤) . وهكذا ختموا
القبر بالاختام ، وضبطوه بالحراس ...

وهكذا لا حقوه بالشتائم بعد موته . وادعوا أن تلاميذه
أتوا ليلا وسرقوه . ودفعوا فى سبيل ذلك ما دفعوه من
رشوة ...

جراة الشيطان عليه :

عبارة « أخلى ذاته » لم تنطبق عليه فى فترة ميلاده
فحسب ، بل صاحبتة طوال حياته على الأرض فى الجسد .

من أجل أنه أخلى ذاته ، تجرأ الشيطان ليجربه .
ووصل الرب في اخلائه لذاته ، الى حد أنه ترك الحرية
للسيطان ، يختار الزمان والمكان ونوع التجربة . . . ما أشد
على النفس قول الكتاب « ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة ،
وأوقفه على جناح الهيكل ، وأيضا » ثم أخذه ابليس الى جبل
عال جدا ، (متى ٤ : ٥ ، ٨) .

ابليس « يأخذه » « ويوقفه » حيثما يشاء !! يا للهول !!
ما أشد هذا الاخلاء للذات . . . من يحتمله ؟! . . .

وإذا بهذا الاله الكامل في معرفته المخبأة فيه كل كنوز
العلم والمعرفة ، يقول عنه الكتاب ان الشيطان « أراه » جميع
ممالك الأرض ومجدها !! . . . « أراه » ؟! وهو الذى يرى
الخفيات والمكنونات ، ويعلم حتى أعماق الفكر وبواطن
القلوب . . .

وهذه الممالك ، التى كلها من صنعه ، وكلها له ، والتى
بيده بقاؤها وانحلالها ، يقول له الشيطان « لك أعطى هذه
جميعها » . . . **وتصل الجرأة بالشيطان ان يقول له « ان**
خررت وسجدت لى » !!... هل الى هذه الدرجة تصل الجرأة ؟!
ما أعجبك يارب ! من يقدر على مثل هذا الاخلاء ؟!

واخيرا :

يعوزنا الوقت ان تحدثنا عن كل نواحي اخلاء الرب لذاته
. . . الأمثلة عديدة ، لا تحصى . . . واخلاء الرب لذاته له
جذور ممتدة فى العهد القديم ، اتركها حاليا لتأملاتكم
الخاصة . . .

أَفْهَى زَانِيهِ وَرَفَعُ شَأْنِ أَوْلَادِهِ

العجيب أن المسيح الهنا بقدر ما كان يخلى ذاته ، كان من الناحية الأخرى يرفع من شأن أولاده

أخذ شكل العبد ، وأعطانا أن نصير شركاء الطبيعة الالهية ! (٢ بط ١ : ٤) . حقا كما تقول تسابيح الكنيسة « أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له » . وهكذا صارت لنا شركة معه (ايو ١ : ٦) . وصرنا « شركاء الروح القدس » (عب ٦ : ٤) ، (٢ كو ١٣ : ١٤) ، وشركاء فى الميراث (ا ف ٣ : ٦) وصرنا جسده ، وأعضاءه ، ثابتين فيه ، كالأغصان فى الكرمة

وصار الرب يقربنا اليه باستمرار ، ويرفعنا قدامه
ومع انه ابن الله الوحيد ، الكائن فى حضن الأب منذ الأزل ، يسمى نفسه فى غالبية الأوقات « ابن الانسان » .
ونحن نبي الانسان يدعوننا أولاد الله ، ويكررها مرات عديدة

ويقول عنا اننا نور العالم ، ويطلب الينا أن يضىء نورنا قدام الناس (متى ٥ : ١٤ ، ١٦) . ويدعوننا أصدقاء له ، وأحباء ، وخاصته التى يحبها حتى المنتهى . ولكن الأكثر من

هذا كله أن يسمح الرب بأن ندعى اخوته ! ويقول الكتاب
« ومن ثم كان ينبغي أن يشببه اخوته في كل شيء »
(عب ٢ : ١٧) ويقول أيضا « ... ليكون هو بكرًا بين
أخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) .

من هم اخوته هؤلاء؟! هم نحن التراب والرماد ...

لو أن أحد الآباء الكهنة في أيامنا ، أرسل خطابا الى
واحد من أولاده ، يقول له فيه « أيها الأخ العزيز » ، لصاح
الناس : ما هذا التواضع العجيب واخلاء الذات؟! كيف
يدعو ابنه أخا له؟! فماذا نقول اذن عن رب الأرباب عندما
يدعونا اخوته؟! ...

بل أكثر من هذا ان الرب كثيرا ما يختفى لنظهر نحن .
فعندما ظهر الرب لشاول الطرسوسي ودعاه ، فاستجاب
وقال « ماذا تريد يارب أن أفعل » (أع ٩ : ٦) . حوله
الرب الى القديس حنانيا في دمشق قائلا له : « قم وادخل
المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل » . وظهر الرب في
رؤيا لحنانيا ، وكلمه من جهة شاول ، فشفاه وعمده ونقل
اليه رسالة الرب .

**ان أهل الكهنوت كله ، وكل أعمال الخدمة والرعاية ، هي
أعمال للرب ، يعمل فيها الله في اختفاء ، ويجعلنا نحن
ظاهرين في الصورة . هو يعمل فينا ، وهو يعمل بنا ، وهو
يعمل معنا ، ولكنه غير ظاهر ، أما نحن فنبدو للناس كأننا
نعمل . بينما « ليس الغارس شيئا ولا الساقى ، بل الله**

السدى ينمى » (اكو ٣ : ٧) . ولكن الله كثيرا ما يعطى السلطان لأولاده ، دون أن يستخدمه مباشرة

والمطلوب من الخدام الذين يعمل فيهم الله فى اختفاء ، أن يختفوا هم ليظهر الله . فمجد الله لا يجوز أن يعطى لآخر . أما الخدام فعليهم أن يصلوا قائلين : « ليس لنا يارب ليس لنا ، ولكن لاسمك القدوس اعطى مجدا » (مز ١١٥ : ١)

وعمل المعجزات عمله الله أيضا فى اختفاء عن طريق أولاده فيظهرون هم فى الصورة . أما الرب فيقول لهم فى حب « من يكرمكم يكرمنى » الله يرسل السيدة العذراء ، أو الملك ميخائيل أو مارجرجس أو غيرهم من القديسين ، فيعملون معجزات ، ويمجدهم الناس ، ويفرح الرب بأن أولاده يتمجدون بل كثيرا ما يقع انسان فى ضيقه ، فيصرخ مستغيثا « يامار جرجس » ، ويسمع الرب ، فيرسل مار جرجس ، فينقذه أو ينذر انسان نذرا للعذراء ويفرح الرب ويستجيب

بل ان الكنائس - وهى كنائس الله - سمح أن تبني على أسماء أولاده . فنقول كنيسة العذراء ، وكنيسة مار جرجس ، وكنيسة الأنبا أنطونيوس ، وكنيسة ما مرقس وكلها بيوت للرب . ولكن الرب يفرح بأولاده

بل حتى شريعة الرب ينسبها أيضا لأولاده أحيانا ، فيقول « ناموس موسى » أو « شريعة موسى » ، بينما هى شريعة الرب لا غيره . ويقول الرب للابرس « قدم القربان الذى أمر به موسى » (متى ٨ : ٤) ويقول أيضا « موسى من

أجل قساوة قلوبكم اذن لكم أن تطلقوا نساءكم «
(متى ١٩ : ٨) ، بينما الذى اذن هو الله ، والذى أمر هو
الله . ولكن الله يرفع من شأن موسى ، ويضع اسمه بدلا من
نفسه ! ..

**من هم هؤلاء يارب الذين تريد أن تظهرهم ؟ انهم تراب
ورماد ، عدم وليس لهم وجود ... ولكنهم أحبائك ،
قديسوك ...**

هناك عبارة عجيبة فى العهد القديم ، وقفت أمامها منذهلا
لحظات طويلة ... فى قصة الله مع موسى النبى . عندما
ثقلت المسئولية على موسى ، قال له الرب « اجمع الى سبعين
رجلا ... فانزل وأتكلم معك هناك . وأخذ من الروح الذى
عليك وأضع عليهم ، فيحملون معك ثقل الشعب »
(عد ١١ : ١٦ ، ١٧) .

**تصوروا ، الله يأخذ من الروح الذى على موسى ويضع
عليهم ! وما هو الروح الذى على موسى ؟ أليس من عندك
يارب ؟! كيف تأخذ منه ؟ وكيف تأخذ منه أمام كل هؤلاء
الناس ؟ اعطهم انت من عندك مباشرة كما أعطيت لموسى ،
انت يامصدر كل عطية سالحة ، انت مصدر الحكمة والتدبير
والفهم ... كلا ، اننى آخذ أمامهم من الروح الذى على موسى ،
وأضع عليهم ، وأرفع شأن موسى فى أعينهم ... مبارك انت
يارب فى كل تدبيرك الصالح .**

الله يحب أولاده ، ويريد أن يكرمهم ، فى السر والجهر .
بل ان الله كثيرا ما كان يسمى نفسه بأسماء أولاده ...

فيقول أنا إله إبراهيم ، وإله اسحق ، وإله يعقوب ،
(خر ٣ : ٦) • ما هذا يارب ؟ انهم هم الذين ينبغي أن
ينتسبوا اليك ••• الله يختفى ويظهر أولاده • وهم بالمثل
يختفون لكي يظهر هو • انها محبة متبادلة •

**ومن المظاهر العجيبة في اخلاء الرب لذاته ، ورفع شأن
أولاده ، قصة عماد الرب من عبده يوحنا بن زكريا •••**

يوحنا الذي لم يكن مستحقا أن ينحني ويحبل سيور
حذائه ، يوحنا الذي قال له في صراحة « أنا محتاج أن
اعتمد منك » ، يقف أمامه رب المجد قائلا « اسمع الآن » •••
فسمع له ، واعتمد الرب منه ••• ياللعجب ••• رئيس
الكهنة الأعظم ، وراعي الرعاة ، الكاهن الى الأبد على طقس ملكي
صادق يأتي ليعتمد من يوحنا ، بينما تفتح السماء ، ويسمع
صوت الآب قائلا « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت »
(متى ٣ : ١٣ - ١٧) •

**كانت معمودية يوحنا للتوبة ••• ولم يكن السيد المسيح
محتاجا الى التوبة مطلقا لأنه قنوس بلا عيب • فلماذا اعتمد؟!
الذين جاءوا الى يوحنا ليعتمدوا جاءوا معترفين بخطاياهم
(متى ٣ : ٦) • ولم تكن للرب خطايا يعترف بها ، ويتوب
عنها ، ويعتمد بسببها ، حاشا ••• فلماذا اعتمد اذن •**

انه من أجلنا أخلى ذاته وأخذ شكل العبد ••• وبنفس
الوضع ، من أجلنا اعتمد • من أجلنا أخذ شكل الخطاة ، اذ
وضع عليه اثم جميعنا ، ووقف يطلب عنا معمودية التوبة ،
كنائب عن البشرية الحاطئة •••

لماذا أفضى الرب ذاته ؟

كثيرة هي الأسباب التي لأجلها أفضى ذاته ، نذكر منها :

١ - لكي نستطيع أن نتمتع به ونوجد معه :

لو أنه احتفظ بجلال لاهوته ، ما كان انسان يستطيع ان يقترب اليه . . . ما كان تلميذه يوحنا يجرؤ أن يتكىء على صدره ، وما كان الأطفال يستطيعون أن يجرؤوا نحوه ويحيطوا به ويهرعوا الى حضنه . وما كانت المرأة الحاطئة نستطيع أن تتقدم نحوه وتمسح قدميه بشعرها . بل ما كانت العذراء تستطيع أن تحمله على كتفها أو ترضعه من ثديها .

لو كان قد نزل في قوة لاهوته ، لكان الناس يرتعبون منه ويخافون . . . ان الرب عندما نزل على الجبل ليعطى الوصايا العشر ، « ارتجف كل الجبل جدا ، وصار كل الجبل يدخن ، وصعد دخانه كدخان الأتون » (خر ١٩ : ١٨) و « ارتعد الشعب ، ووقفوا من بعيد . وقالوا لموسى : تكلم انت معنا فنسمع . ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت » (خر ٢٠ : ١٨ ، ١٩) .

**وهكذا رأى الرب ان يخلى ذاته ، حتى يمكن للناس ان
يختلطوا به دون ان ترعبهم هيئته ، او يصددهم جلاله . . .**

ان موسى النبى ، عبد الرب ، عندما قضى معه أياما على
الجبل لأخذ اللوحين ، نزل فاذا وجهه يلمع لمعانا لم يستطع
الناس ان يحتملوه « فخافوا أن يقتربوا اليه » . لذلك كان
يضع على وجهه برقعاً حتى يحتمل الشعب أن ينظروا اليه
(خر ٣٤ : ٢٩ - ٣٥) .

**فان كان هذا هو الجلال الذى أخذه موسى من عشرته
للرب ، فماذا يكون جلال الرب نفسه؟! وان كان الناس لم
يحتملوا النور الذى على وجه موسى وهو نازل من عند الرب،
فكيف تراهم كانوا يحتملون نور مجد الرب الذى قال عنه
القديس يوحنا الرسول فى رؤياه ان « وجهه كالشمس وهى
تضىء فى قوتها » (رؤ ١ : ١٦)؟!**

**انه عندما ظهر لساؤل الطرسوسى ، عميت عيناه من
قوة النور . وظل فترة لا يبصر والقشور تغطى عينيه . فمن
كان يحتمل أن يرى الرب فى مجده . . . من يرى الرب
ويعيش؟!**

**وعندما أظهر الرب شيئاً من مجد لاهوته على جبل التجلى،
كان التلاميذ مرتعبين ، ولم يكن بطرس يعلم ما يتكلم به
(مر ٩ : ٦) . ولما سمعوا الصوت من السحابة « سقطوا
على وجوههم ، وخافوا جدا » (متى ١٧ : ٦) . كيف كان**

ممكنا اذن أن يحتمل الناس مجد الرب لو لم يخل ذاته ؟
وهو أيضا من أجل انكاره لذاته ، لم يأخذ معه كل تلاميذه
الى جبل التجلى ، ولم يعلن هذا المجد للجميع . وحتى الذين
شاهدوا مجده « أوصاهم أن لا يحدثوا أحدا بما أبصروا الا
متى قام . . . » (مر ٩ : ٩) .

ان اخفائه لأمجاده مظهر آخر من اخلاء الذات . . .

كان الرب يستطيع باستمرار أن يكون فى مجد التجلى
بين الناس ، ولكنه لم يفعل . كان يريد أن يتمتعوا به ،
ويختلطوا به ، لا أن يرهبوه .
ولماذا أيضا أخلى ذاته ؟

٢ - أراد أن يصحح فكرة الناس عن الألوهية :

**لقد اقترب الينا حتى لا تظل فكرة الناس عن الألوهة ان
الله جبار ومخيف . فأراد أن يجذبنا بالحب لا بالخوف .**
أراد أن يدخل قلوبنا عن طريق محبته ، لا عن طريق
مخافته .

وهكذا نرى انه عندما رفضت احدى قرى السامرة ان
تقبله ، رفض أن يسمع لتلميذه اللذين طلبا أن تنزل نار
من السماء وتفنئ تلك القبرية ، ووبخهما قائلا « لستما
تعلمان من أى روح أنتما » (لو ٩ : ٥٥) . انه لم يشأ أن
يرهب أهل السامرة بقوته ، بل أن يكسبهم بمحبته .
وصبر معلمنا الصالح الى ان جاء الوقت الذى دخل فيه

السامرة بالمحبة والترحاب لا بالنار النازلة من السماء . . .
الله لا يريد أن يكون مخيفا بل محبوبا . الناس بطبيعتهم
ينفرون ممن يخافونه . وقد يخضعون له فى ذل ، لكنهم
ينفرون منه فى قلوبهم . . .

**كان التلاميذ يريدونه قويا جبارا مهابا ، بحسب فهمهم
البشرى ، لذلك انتهبوا الذين قدموا الأطفال اليه . أما هو ،
فقال لهم « دعوا الأولاد يأتون الى ولا تمنعوهم . . . »
وأخذ الأولاد « واحتضنهم ، ووضع يديه عليهم وباركهم »
(مر ١٠ : ١٣ - ١٦) . وكذلك عندما انتهر التلاميذ
الاعميين الصارخين نحوه ، وقف المسيح ، وناداهما ، وتحزن ،
ولمس أعينهما فأبصرا وتبعاه (متى ٢٠ : ٣٠ - ٣٤) .**

٣ - وأخلى الرب ذاته ليعالج السقطة الأولى :

**ماذا كانت السقطة الأولى سوى الكبرياء ، سواء سقطة
الشيطان أو سقطة الانسان؟! فالشيطان قال فى قلبه
« أصعد الى السموات ، أرفع كرسي فوق كواكب الله . . .
أصير مثل العلى » (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) . وعندما أسقط
أبويننا الأولين أغراهما بقوله « تنفتح أعينكما ، وتكونان مثل
الله . . . » (تك ٣ : ٥) .**

**أخلى الله ذاته آخذا صورة العبد ، لكى يعطى درسا للعبد
الذى أراد أن يرفع ذاته ويصير الها . وهكذا صار ابن الله
الوحيد ابنا للانسان ، ليعالج كبرياء الانسان ويجعله ابنا لله ،
بالاتضاع الذى اتضع به ابن الله ، وليس بكبرياء السقطة
الأولى . . .**

وهكذا فى اخلائه لذاته قيل انه شابه « اخوته » فى كل

شىء . . . (عب ٢ : ١٧) .

ان الرب عندما يسمي عبيده ومخلوقاته اخوة له ، انما

يبكت الذين يعاملون اخوتهم كعبيد لهم ، اولئك الذين

يؤلهون أنفسهم كلما ينالون مركزا أعلى من اخوتهم . . . أما

المسيح الهنا فلم يفعل هكذا . . . لقد أخلى ذاته ، حتى

استطاع بطرس أن يأخذه اليه وينتهره قائلا « حاشاك

يارب . . . » (متى ١٦ : ٢٢) . وسمح لكثيرين أن يجادلوه

ويناقشوه ، بعكس كثيرين من البشر الذين لا يقبلون جدالا

من أحد . وكان تلاميذه يحاورونه حسبما يريدون حتى

سموهم « الحواريين » . . .

وهكذا أخلى المسيح ذاته ، وصار كواحد منا . . . أراد

الانسان أن يرتفع ويصير مثل الله ، فنزل الله وصار مثل

الانسان . . . لكي ينيله بغيته ، ولكن بطريقة سليمة ،

باتضاع الله لا بارتفاع الانسان . . .

الانسان كان يريد أن يقف مع الله فى صف واحد . . .

فبدلا من أن يرتفع الانسان ليقف مع الله ، نزل الله ليقف مع

الانسان . لكيما ينزوله يخجل الانسان وتذمحق نفسه

ويتضع قلبه . وباتضاعه يقترب الى صورة الله المتضع . لقد

أخذ الرب صورة العبد ، لكي يخفض من تشامخ السادة . . .

فليتنا نتضع كلما تأملنا اخلاء الرب لذاته . ليتنا نتضع

نحن الذين كلما أعطينا سلطانا فى أيدينا ، نريد أن تميد

الأرض تحت أقدامنا ، وترتعش السموات من فوق . . .

كيف نخلى زواتنا ؟

ان كان السيد المسيح قد أخلى ذاته - وفيه كل الملء -
فنحن الفراغ ، كيف نخلى ذواتنا ؟! المسيح الذى فيه كل ملء
اللاهوت ، أخلى ذاته وصار فى الهيئة كإنسان . وهو الاله
أخذ شكل العبد ، فالعبد عندما يخلى ذاته أى شىء يكون . ان
سرنا بنفس النسبة فى اخلاء الذات ، ترى الى أين نصل ؟!؟

عمق الاتضاع هو أن يسأل الانسان ذاته : ما هى ذاتى
حتى اخليها ؟! وعندما يشعر الانسان أنه فراغ ، لا يوجد
فيه شىء يخليه ، يكون حينئذ قد وصل الى كل الملء

النزول الى فوق :

ان المسيح الهنا - عندما أخلى ذاته - نزل من السماء
الى الأرض ، وما أبعد المدى بين الاثنين ! ونحن الذين على
الأرض ان أردنا أن ننزل منها فالى أين ننزل ، والى أين
نهبط ؟ هل تعلمون الى أين ننزل ، والى أين نهبط ؟ لا شك
أنه فى هبوطنا ، انما نهبط من الأرض الى السماء . وفى

نزولنا انما نازل من تحت الى فوق !!

وهكذا نرى أن السيد الرب قد غير المقاييس البشرية ،
مقاييس العلو والهبوط . . . ألغاهما كلها ، وغيرها الى العكس
فقال « من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع »
(متى ٢٣ : ١٢) . وقال في نفس المعنى « من أراد أن يكون
فيكم عظيما ، فليكن خادما . ومن أراد أن يكون فيكم أولا ،
فليكن عبدا » (متى ٢٠ : ٢٦) . وقال أيضا « اذا أراد أحد
أن يكون أولا ، فليكن آخر الكل وخادما للكل » .
(مر ٩ : ٣٥)

فالشخص الذي يرفع نفسه ، انما يهبط بمستواها

الروحي . كلما انتفخ ، يتضائل ويتضائل حتى يصبح
لا شيء . . . مثل هذا شبهه القديس أوغسطينوس بالدخان
الذي كلما يرتفع ، تتسع رقعته . وكلما تتسع رقعته يتلاشى
حتى يصبح لا شيء . وقد أخذ القديس أوغسطينوس هذا
التشبيه عن داود النبي عندما قال « لأن الأشرار يهلكون . .
فنوا كالدخان فنوا » (مز ٣٧ : ٢٠) « كما يذرى الدخان
تذريهم » (مز ٦٨ : ٢) .

ان الذين يظنون انهم يرفعون ذواتهم ، انما (يرفعونها)
الى أسفل ، لا الى فوق . وهذا هو ما قصده الرب بقوله « من
يرفع نفسه يتضع » . . .

اما المتواضعون فكلما يهبطون الى اسفل يرتفعون الى فوق

أو - ان صح التعبير - يهبطون الى فوق . . هم باستمرار

ينزلون الى الاعالى الكائنة فى الأعماق ، لأن السيد الرب
أعطانا فكرة جديدة عن العلو والعمق ، عندما أخلى ذاته ...
لقد علمنا ان العلو هو العمق ، وأن العلو يوجد تحت لا فوق
... وأعطانا مقاييس للعظمة لم تعرفها البشرية من قبل .

ان المتضعين يرتفعون فى هبوطهم ، والمتكبرين يهبطون
فى صعودهم . وكل من يريد أن يصعد الى فوق ، ويلتصق
بالله ، عليه أن ينزل الى الأرض ويقول مع داود « لصقت
بالتراب نفسى » (مز ١١٩ : ٢٥) . والهنا الناظر الى
التواضعات « يقيم المسكين من التراب ، ويرفع البائس من
المزبلة ، ليجلس مع رؤساء شعبه » (مز ١١٣ : ٧) .

والآن ، كيف تغلى ذاتك أيها الأخ :

ان لم تتمكن من اخلاء ذاتك بالتعام ، فعلى الأقل :

● **اخفض نفسك درجة عما تستحقه ، أو عما تظن أنك
تستحقه ، فى نظر نفسك ، وفى نظر الناس .** فى احدى
المرات رسم كاهن جديد ، وقضى فترة الاربعة ايام فى الدير .
وفى تلك الفترة - وهو فى الدير - سألتنى نصيحة له فى
خدمته المقبلة ، فقلت له :

« كن ابنا وسط اخوتك ، وأخا وسط اولادك »

« انزل درجة باستمرار ، أو درجات ... وباستمرار
اسلك بالبساطة فى معاملة تلاميذك ، وأولادك ، واخوتك
الصغار ... » . واليك تدريب آخر

● **جرب كيف تتنازل عن حقوقك ، وعمما يليق بك من كرامة .** وفى كل وقت ضع أمامك الآية التى تقول « المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) فلا تطلب أن تأخذ كل حقوقك ، ولا تطلب أن تدافع عن نفسك فى كل شىء ولا ترد التصرف بمثله

● **فى اخلائك لذاتك القى عنك الاشياء التى تضغوك** فى نظر نفسك أو فى نظر الناس ، سواء كانت داخل نفسك أو من الخارج . عليك أن تتخلى عن مظاهر العظمة ، وتعيش ببساطة

وأعلم أن السيد المسيح فى اخلائه لذاته ، أعطانا فكرة ان العظمة لا تنبع من مظاهر خارجية ، ولا من رفعة تحيط بالانسان . **وانما العظمة الحقيقية تنبع من الداخل ،** من كنه الذات النقية . كلما يصير القلب نقيا ، يأخذ صورة الله ، ويصير حقا على مثال الله حسبما خلق فى البدء ، على صورة الله وشبهه (تك ١ : ٢٦ ر ٢٧) .

● **وفى كل نقاوتك وفضائلك ، أنسب الفضل كله لله** لا الى نفسك . اشعر دائما ان الله هو العامل فيك ، وليس أنت . وأشعر انك بدونك لا تستطيع أن تعمل شيئا

وإذا اشتركت مع انسان فى عمل ، قدمه على نفسك فى كل شىء . اعطه التفوق ، واعطه الفضل ، وانسب اليه ما تحارب بأن تنسبه الى نفسك من العظمة . وحاول أن تختفى ليظهر الله ، وليظهر اخوتك

● وان لم تستطع ان تخلى ذاتك ، فعلى الأقل لا تضع
فوقها ثقلا جديدا من الارتفاع ، حتى لا تنوء نفسك تحت ثقل
ارتفاعك ...

على الأقل ... لا تكبر ذاتك . لا تتحدث عن نفسك .
لا تشرح للناس فضائلك . لا تسرد قصصا يفهمون منها
شيئا عاليا عنك ...

ضع امامك صورة المسيح في اخلائه لذاته ...



مِلْءِ الزَّمَانِ

ولكن لما جاء ملء الزمان ،
أرسل الله ابنه مولودا من امرأة
تحت الناموس .

(غل ٤ : ٤)

ملء الزمان :

ان انتظار « ملء الزمان » هو درس روحي عميق نستفيد
في حياتنا ، عندما نتأمل قصة التجسد وكيف حدد الله
ميعادها .

عندما أخطأ آدم وحواء وعدهما الله بالخلاص ، قائلا لهم
ان نسل المرأة سيسحق رأس الحية . وأنجبت المرأة قايز
وهابيل وشيث . . . ولم يحدث أن أحدا منهم سحق رأس
الحية . بل ظلت الحية رافعة رأسها في خطر ، حتى كادت
تهلك العالم كله في أيام نوح . . .

- فالى متى يارب ننتظر ؟ متى تحقق وعدك بالخلاص ؟

- « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها-

الآب في سلطانه » (أع ١ : ٧) . فاصبروا وانتظروا خلاص
الرب . وكل شيء سيتم في حينه ، في ملء الزمان .

ان الله يعمل في الوقت المناسب ، حين يرى العمل
والظروف كلها تساعد على هذا العمل . الله طويل الأناة في
تفكيره وفي تدبيره . ومعالجته للمشاكل ربما تأخذ وقتا
ولكنها تكون قوية ونافعة .

متى نفذ الرب وعده بالخلاص؟ نفذه بعد آلاف السنين . . .

والحكمة فى ذلك سنوضحها فيما بعد • ولكننا نقول الآن
« ان يوما عند الله كآلف سنة ، وألف سنة عنده كيوم واحد »
(٢ بط ٣ : ٨) كل تلك الآلاف عند الله كأنها لحظة أو طرفة
عين •

أما البشرية فإنها شغوفة بأن تتهى كل شىء بسرعة •••
حمى الاسراع هى حمى تنتاب البشر جميعا • تريد التعجل
فى كل شىء ، ولا تستطيع صبرا على شىء • والناس يجرون
وراء حاجاتهم جريا بدون تفكير فى غالبية الأوقات •

محبة العجلة والاسراع :

● وعد الرب ابانا ابراهيم بأن يكون له نسل ، مثل
نجوم السماء وزمل البحر • وانتظر ابراهيم طويلا ولم يعط
نسلا كنجوم السماء ••• ولا حتى ابنا واحدا ••• ماذا
يارب ، هل نسيت مواعيدك ؟ كلا ، انشى لم أنس ، **ولكنك
انت الذى تريد أن تتعجل الأمور قبل مواعيدها •••**
« تقو وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب » •••

وعاد ابراهيم ، فانتظر مدة أطول ، ولكن النسل لم يعط
له ••• فبدأ اليأس يتطرق الى قلبه ، ودفعه اليأس الى أن
يدخل على جاريتة هاجر ، وينجب منها ابنا ••• ولكن مشيئة
الله ظلت كما هى « بسارة يدعى لك نسل » (تك ١٧ : ٩)
••• وعاد ابراهيم فانتظر سنوات أخرى •••

وحتى بعد ولادة اسحق ، مرت عليه عشرات السنوات ، ومازال الوعد الخاص بنجوم السماء ورمل البحر ينتظر التحقيق
••• وعاد ابراهيم فاتخذ قطورة زوجة له • فولدت له زمران
ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوفا (تك ٢٥ : ١ ، ٢)
••• لم تكن مشيئة الرب فى كل هؤلاء ، فأعطاهم ابراهيم
عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه ••• وانتظر حتى يحقق الرب
وعده ، فى ملء الزمان ••• بطريقته الهادئة ، التى لا تعجل
فيها •••

● **ان اليأس من وعود الله ومواعيده يدعو الى التعجل •
والعجلة تدعو الى استخدام الطرق البشرية • والطرق البشرية
تتناهى مع طرق الله الصالحة • وسنأخذ مثلا لذلك رفقة زوجة
اسحق :**

قال الرب لرفقة وهى بعد حبلى « فى بطنك أمتان ، ومن
أحشائك يفترق شعبان : شعب يقوى على شعب ، وكبير
يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣) • والكبير هو عيسو ،
يستعبد للصغير الذى هو يعقوب •

**كيف هذا يارب ؟ كيف يستعبد الكبير للصغير ؟ طالما
هو البكر فهو السيد ؟ فهل سيفقد البكورية ؟ وكيف
يكون ذلك ؟**

يجيب الرب : اتركوا هذه الأمور لى ، سأعالجها بطريقتى
الخاصة ، الهادئة الصالحة • ومرت الايام والسنوات ••• أين

يارب وعدك ؟ يجيب : انتظروا ، سيتم كل شيء فى حينه ،
فى ملء الزمان • ثم أتى اليوم الذى طلب فيه اسحق صيدا
من ابنه عيسو ، لكى يباركه • وهنا لم تستطع رفقة أن
تحتمل ، فقدمت حيلة بشرية لابنها يعقوب ليأخذ بها البركة
عن طريق خداعه لأبيه ...

**لماذا أسرع رفقة ؟ ولماذا لم تنتظر الرب ؟ ولماذا
لجأت الى الطرق البشرية الخاطئة التى لا تتفق مع مشيئة الله
الصالحة ؟ انها همى الاسراع وعدم انتظار ملء الزمان ...**

وماذا كانت النتيجة ؟ كانت سنوات طويلة من المتاعب
والآلام ، قضاها يعقوب شريدا هاربا وخائفا من أخيه ،
ومتعبا من معاملة لابان السيئة وخداعه له • وقد سجل
يعقوب ملخص حياته هذه بقوله « أيام سننى غربتى ...
قليلة وردية » (تك ٤٧ : ٩)

● **حنه أيضا كانت تطلب ابنا من الرب ، وكانت ضررتها
تغيظها غيظا • وبدا كما لو أن الرب كان يسمع ، ويظل
ساكتا ! ...**

ومرت الأيام ، وحنه ماتزال عاقرا « وهكذا صار سنة
بعد سنة ، كلما صنعته الى بيت الرب أن (ضررتها فننة)
كانت تغيظها • فبكت ولثم تآكل » (اصم ١ : ٧) • والرب
يسمع ويرى ، ومع ذلك يبدو ساكتا لا يعمل شيئا ! • الى
متى يارب لا تستجيب ؟ الى متى تحتمل بكاء حنه من اغاظته
ضررتها ؟

يُجيب الرب: انتظروا ملء الزمان • لا يتعبكم طول أناتي،
بل الذي يتعبكم هو حمى الاسراع • انتظروا ، فللانتظار
فائدته ...

وكان من فائدة الانتظار أن حنه نذرت نذرا أن تعطي
ابنها للرب كل أيام حياته • وقد كان ، وولد لها صموئيل •
ولد صموئيل في ملء الزمان ، متأخرا جدا • ولكنه
كان أفضل من جميع أولاد فننة ، ضرة أمه التي كانت تغيظها
... من هم أولاد فننة ؟ اننا لا نعرف شيئا عنهم ولا حتى
عن أسمائهم ، أما صموئيل فيعرفه الجميع ...

● ليتنا اذن في معاملاتنا للرب ، نصبر ، وننتظر
ملء الزمان •

ان الضيقات تحتاج الى طول أناة ، حتى يرفعها الرب عنا
في الحين الحسن ، في ملء الزمان ، بعد أن نكون قد أخذنا
بركتها • ولكننا لا نفعل هكذا بل نضيق بسرعة ، ونصرخ
« لماذا يارب تركتنا ؟ لماذا لم تسمع الصلاة ؟ » ...

قد يكون لك مريض تطلب شفاءه ، وتلح في ذلك • وقد
يبطئ الرب في الاستجابة حتى يأتي ملء الزمان الذي يحدده
للمريض حسب حكمته في اختيار الأوقات • أما أنت فتضجر
وتصيح في ضجرك « ليه يارب ما بتسمعش ؟ أمال ايه لازمة
الصلاة ؟ أمال ايه فايده سر مسحة المرضى !! » وتعمل خناقة
مع ربنا ... ليس لأن الله قد أخطأ في حقك ، وانما بسبب
محبتك للاسراع وعدم انتظارك ملء الزمان •

ملء الزمان ، هو الوقت المناسب :

بنفس حكمة ملء الزمان ، انتظر الرب حتى يعد كل شيء لتجسده ، ثم بعد ذلك نزل اليانا ، فى الوقت المناسب . . .
لم يكن هناك وقت مناسب أكثر من موعد مجيئه بالذات .
كان كل شيء ممهدا ، وكل شيء معدا . لذلك كان عمل مجيئه قويا ، وكان تقبل الناس له سريعا . . .

كانت النبوءات قد اكتملت ، وكذلك الرموز . وأعد الرب فهم الناس لها خلال مدى طويل ، حتى يستطيعوا أن يستوعبوها عندما يتم المكتوب ويتحقق الرمز . . .

خذوا لذلك مثالا هو فكرة الذبيحة ، وفكرة الفداء :

كيف تدرج الله بهم من الذبيحة التى غطى آدم وحواء عريهما بجلدها ، الى ذبيحة هابيل التى « من أبكار غنمه ومن سمانها » ، الى فكرة ذبيحة الابن الوحيد التى تمثلت فى اسحق ، الى شروط الذبيحة التى بلا عيب ، التى تحمل خطية غيرها وتموت عنه . . . وتركهم آلافا من السنين حتى احتضنوا الفكرة واستوعبوها وصارت من بديهياتهم . . .
ان الله طريقته هادئة وطويلة المدى ، ولكنها منتجة ونافعة . . .

صدقونى ، لو أن الله صبر كل تلك الآلاف من السنين حتى يجد العذراء الطاهرة التى تستحق أن يولد منها الرب ،

والتي تحتل أن يولد منها الرب ، لكان هذا وحده سببا
كافيا .

وكان ينبغي أن ينتظر حتى يوجد الرجل البار الذي
يعيش تلك العذراء في كنفه ، ويحفظها في عفتها ، ويحتمل
أن تحبل من الروح القدس ، ويقبل الفكرة ، ويحمى الفتاة ،
ويعيش كأنه أب لابنها في نظر المجتمع

وكان ينبغي الانتظار حتى يولد الملاك الذي يعد الطريق
قدام ملك الملوك ، أعنى يوحنا المعمدان ذا الشخصية الجبارة
والتأثير العميق . الذي يستطيع أن يقول « في وسطكم قائم
الذي لستم تعرفونه ، هو الذي يأتي بعدى ، الذي صار
قدامى ، الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه »
(يو ١ : ٢٧) « ينبغي أن ذاك يزيد ، وانى أنا أنقص . الذي
يأتى من فوق ، هو فوق الجميع . الذي يأتى من السماء هو
فوق الجميع . . . » (يو ٣ : ٣٠ ، ٣١) .

لعل أحدا يسأل : ولماذا لم يوجد الله كل هؤلاء منذ
زمن ؟ نجيب بأن الله لا يرغم البشر على البر والقداسة . انه
ينتظر حتى توجد الآنية المستعدة بكامل ارادتها

هناك أسباب عديدة جدا توضح شيئا من حكمة الرب في
الانتظار حتى يأتى ملء الزمان . أوضحها هو اعداد العالم
كله وتهيئته لقبول فكرة التجسد وفكرة الفداء

وأخيرا ، عندما كمل كل شيء « لما جاء ملء الزمان ،
أرسل الله ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس ، ليفتدى
الذين تحت الناموس ، لننال التبني » (غل ٤ : ٤ : ٥) .

عَمَانُوثِيلُ الذى تفسيره « الله معنا »

« هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون
اسمه عمانوثيل الذى تفسيره الله معنا »
(متى ١ : ٢٣)

« ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه
عمانوثيل »
(أش ٧ : ١٤)

الله معنا :

جميل هذا الاسم الذى دعى به السيد المسيح فى مولده ،
عمانوئيل ، الله معنا . اسم فيه الكثير من التعزية ، اذ فيه
الكثير من حب الله لنا .

**ان بركة عيد الميلاد هى هذه : ان نشعر ان المسيح هو
الله معنا ، الله فى وسطنا ، ساكن معنا ، وساكن فينا .**

الله فى الحقيقة يحب البشر جدا ، مسرته فى بنى البشر .
يحب ان يهب الانسان لذة الوجود معه ، ويحب قلب الانسان
كمكان لسكناه .

**منذ ان خلق الانسان ، خلقه على صورته ومثاله . وأراد
ان يجعله موضعا لسكناه ، أراد ان يسكن فى قلب الانسان
ويحل فيه .**

ومرت آلاف السنوات ، والهنا الصالح يحاول ان يجد له
موضعا فى الانسان ، ومكانا يكون أهلا لسكناه . ولكن
الجميع كانوا قد زاغوا وفسدوا ، ليس من يعمل صلاحا ليس
ولا واحد . . . لم يجد الرب فى قلوبهم موضعا يسند فيه
رأسه . . . فماذا عنك أنت أيها المبارك ؟

ان الله ينظر الى قلبك ويقول « هذا هو موضع راحتى

الى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنى اشتهيته « (مز ١٣٢ : ١٤) .
وهكذا قال المرتل « ان الرب اختار صهيون • اشتهاها
موضعا له « (مز ١٣٢ : ١٣) • وصهيون هذه هى نفسك
التي يطلبها الله ، هى قلبك الذى يحب الرب أن يسكن فيه

مسكن الله مع الناس :

ان سكنى الله مع الناس وفى وسطهم ، هى قصة قديمة •
انها قصة خيمة الاجتماع ، التي فيها نرى الله يسكن وسط
شعبه • أو هى قصة تابوت العهد ، رمز حلول الله بين الناس •

وكما أن سكنى الله مع الناس دلالة خيمة الاجتماع ، هى
أيضا دلالة أورشليم السمائية فى الأبدية ، التي قيل عنها
« هو ذا مسكن الله مع الناس • وهو سيسكن معهم • وهم
يكونون له شعبا • والله نفسه يكون معهم ، الها لهم «
(رؤ ٢١ : ٣) •

وقد وضع هذا المعنى بتشبيه أقوى فى حبه :

قال انه الرأس ونحن الأعضاء ، وقال الرسول عنا
كنيسة اننا « جسد المسيح » • ولعل مثل هذا التشبيه هو
ما قصده الرب بقوله « أنا الكرمة وأنتم الأغصان «
(يو ١٥ : ٥) ، وطلب منا أن نثبت فيه كما تثبت الأغصان
فى الكرمة • ولعل هذا أيضا هو جزء من الصلاة الطويلة التي
صلاها فى بستان جثمانى ، حيث قال عن تلاميذه
« أنا فيهم ، وأنت فى ، ليكونوا مكملين الى واحد •••

عرفتهم اسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى
به ، **وأكون أنا فيهم** « (يو ١٧ : ٢٣ ، ٢٦) • ان الله
يريدك أن تثبت فيه وهو فيك •

الله الذى حل فى بطن العذراء لكى يأخذ منها جسدا ،
يريد أن يحل فى أحشائك لكى يملأك حبا ••• ان أفضل
مسكن لله هو فيك • الله لا يسر بالسماء مسكنا له ، بل هو
واقف على بابك يقرع لكى تفتح له (رؤ ٣ : ٢) • وهو
يعتبر جسدا هيكلا لروحه القدوس يسكن روح الله فيه
(اكو ٣ : ١٦) • وهو يريد أن يأتى اليك ليقيم فيك مع
الآب • انظر ماذا يقول « ان أحبني أحد يحفظ كلامي ،
ويحبه أبى ، واليه نأتى وعنده نصنع منزلا » (يو ١٤ : ٢٣)

الله الذى يصر فى الحاح أن يسكن فيك ، يخاطب نفسك
الحبيبة اليه بتلك العبارات المؤثرة « افتحى لى يا أختى
يا حمامتى يا كاملتى ، فان رأسى قد امتلأ من الطل ، وقصصى
من ندى الليل » (نش ٥ : ٢) • تصور ان الله واقف طول
هذه المدة يقرع على بابك محتملا من أجلك الطل وندى الليل •

سماؤه الحقيقية هى قلبك ، لذلك يطلب اليك على الدوام
قائلا « يا ابنى اعطني قلبك ••• « (أم ٢٣ : ٢٦) •

انه يقول لكل نفس بشرية ما قاله المرتل فى المزمور
• اسمعى يا ابنتى وانظرى واميلى سسمعك ، وانسى شعبك
وبيت أبيك ، فان الملك قد اشتهى حسنك ، لانه هو ربك «
(مز ٤٥ : ١٠ ، ١١) •

ان عبارة « الله معنا » لم يقصد بها ان يكون عمانوئيل
معنا في فترة تجسده فقط ، وانما على الدوام .

وهكذا يقول الرب « ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء
الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) . ويقول أيضا « ان اجتمع اثنان
أو ثلاثة باسمى ، فهناك أكون فى وسطهم » (متى ١٨ : ٢٠) .
ويظل الرب معنا فى الأبدية التى لا تنتهى . وعن هذا الأمر
قال للآب « أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى
يكونون معى ، حيث أكون أنا » (يوحنا ١٧ : ٢٤) . وقد
طمأننا من جهة هذا الأمر فقال « وان مضيت وأعددت لكم
مكانا ، آتى أيضا وأخذكم الى ، حتى حيث أكون أنا تكونون
أنتم أيضا » (يوحنا ١٤ : ٣) . وهكذا قال يوحنا الرائى عن
أورشليم السمائية انها « مسكن الله مع الناس » (رؤى ٢١ : ٣)

هل الى هذا الحد يارب ؟ نعم : أنا أريد أن أسكن معكم ،
وأحل فيكم . أجد لذة فى عشرتكم وفى صداقتكم . أحب أن
أكون فى وسطكم . . . أنا عمانوئيل ، الله معكم . . .

ان بركة عيد الميلاد تتركز فى عبارة (عمانوئيل) .
الله معنا . فان كنت يا أخى تحس أنك مع الله ، والله معك ،
تكون قد تمتعت فعلا ببركة عيد الميلاد . . . لا تظن أن عيد
الميلاد هو اليوم الذى انتهينا فيه من الصوم وبدأنا نفطر !!
أو أن عيد الميلاد هو اليوم الذى عملنا فيه قداس العيد
بطقوسه وألحانه الفرائيحي . . . عيد الميلاد من الناحية
الروحية هو عشرة عمانوئيل ، الذى هو الله معنا . . .

ان الله لا يريد منك شيئاً غير قلبك ليسكن فيه . . .
اوعى تفتكر ان ربنا عايز منك غير كسده !! أبدا ،
صصدقنى . تقول له يارب ، سأعطى كل أموالى للفقراء ،
يقول لك يا حبيبى أنا عايز قلبك ، عايز أسكن جواك .
تقول له يارب ها أصوم وأبطل كل حاجه ، يقول لك أنا عايز
قلبك . . . تقول له : أنا ها أصلى طول الليل ، يقول لك :
ان صليت طول الليل ، ولم تعطنى قلبك ، فلا فائدة من
صلاتك .

كل عبادتك وصلواتك هى مجرد عبادة خارجية ، ان لم
يكن لله مسكن داخل قلبك .

● الله يريد أن يقيم صداقة معك . يقول الكتاب « وسار
اخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه » (تك ٥ : ٢٤) .
منظر جميل أن نتخيل اخنوخ وهو سائر مع الله . وشعور
عميق أن ندرك كيف ان الله لم يمكنه الاستغناء عن نوح ،
فأخذه اليه . . .

ان بولس الرسول يشرح مجيء الرب الثانى على
السحاب ، واختطافنا اليه ، فيختم هذا المشهد الجميل بقوله
« وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم
بعضاً بهذا الكلام » (اتس ٤ : ١٧ ، ١٨) .

وهنا على الأرض نلمح ملاحظة قوية فى حياة القديسين . . .
وهى أن القديسين كانوا يشعرون دائماً بوجودهم فى حضرة
الله . كانوا يرونه معهم على اللوام ، أمامهم وعن يمينهم . . .

انها عبارة متكررة على فم ايليا النبي اذ يقول « حى هو
رب الجنود الذى انا واقف امامه » (امل ١٨ : ١٥) . من
فيينا شعر باستمرار انه واقف امام عمانوئيل الذى هو
الله معنا ؟ . . .

داود أيضا كان يحس على الدوام بوجود الله معه اذ يقول
« رأيت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع »
(مز ١٦ : ٨) . ما هذا يا داود ؟ هل الرب أمامك أم عن
يمينك ؟ هو معى فى كل حين وفى كل موضع ، وفى كل
اتجاه أشعر بوجود الله . . .

● **ان الشخص الذى يشعر بأن الله أمامه ، لا يمكن أن
يخطئ ، سيخجل حتما من الله .** ويقول « هو ذا الله يرانى
وأنا أعمل ، هو ذا الله يسمعنى وأنا أتكلم » . الله له عينان
كلهيب نار تخترقان الظلام . فلو اننا شعرنا ان الله كائن
معنا ، لكان من المستحيل علينا أن نخطئ . ان خطايانا
دليل على اننا غير شاعرين بوجوده معنا .

**هناك حادثة حدثت مع القديس مار افرام السريانى
ثبتت هذا الأمر .** فى احدى المرات هددته امرأة ساقطة أن
تشهر به ان لم يطاوعها ويفعل الشر معها . فتظاهر بالموافقة
على شرط أن يحدث ذلك فى سوق المدينة . فاندهمت المرأة
وقالت له « كيف نفعل هذا فى السوق ؟! ألا تستحي من
الناس وهم حولنا ؟! » فأجابها القديس « ان كنت تستحين
من الناس ، أفما تستحين من الله الذى عيناه تخترقان أستار

الظلام؟! ، ، وكان لكلام القديس تأثيره العميق فى المرأة
فتابت على يديه .

**هل تقن يا اخى ان الملحدين فقط هم الذين ينكرون
وجود الله؟! أوكد لك أنك فى كل خطية ترتكبها تكون قد
نسيت وجود الله أو أنكرته عملياً . لو كنت مؤمناً فعلاً
بوجوده أملك ، لحجلت وخشيت . . . ان بعمانوئيل - الله
معنا - يعطينا الطهارة والنقاوة والقداسة ، على الدوام .**

● **واحساننا بوجود عمانوئيل ، الله معنا ، يعطينا
الشجاعة وعدم الخوف .**

لما بدأ يسوع خدمته ، قال له الرب « لا يقف انسان
فى وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك ،
لا أملك ولا أتركك . . . تشدد وتشجع ، لا ترهب ولا
ترقب، لأن الرب الهك معك حيثما تذهب » (يش ١ : ٥ ، ٩)

الانسان الذى يشعر بوجود الله ، يشعر بقوة عظيمة
منه ، تزيد منه كل خوف وكل اضطراب ، وتهبه الثقة
والاطمئنان . . . واحد يسألك سؤالاً محرجاً ، فتخاف ،
وتكذب ! لماذا ؟ لأنك خائف ؟ ولماذا تخاف ؟ الله معك ؟ . . .
لا يقف انسان فى وجهك كل أيام حياتك . . .

**خطية الخوف هى خطية علم ايمانه ، علم ايمان
بعمانوئيل ورعايته . كان داود شجاعاً . وكان يقول « الرب
نورى وخلصى من أخاف . . . » وان نزل على جيش فلن**

يخاف قلبى ، وان قام على قتال ففى هذا أنا مطمئن ،
(مز ٢٧ : ١ ، ٣) • « الرب عونى فلا أخشى ، ماذا يصنع بى
الانسان ؟ » (مز ١١ : ٦) • وفى هذه العبارات نلمح
الفرق بين شجاعة القديسين وشجاعة أهل العالم • شجاعة
أهل العالم سببها ثقتهم بقوتهم الخاصة ، وشجاعة القديسين
سببها ثقتهم بوجود عمانوئيل ، الله معهم •

ظهر الله لبولس الرسول فى رؤيا بالليل وقال له
« لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت ، لأنى أنا معك • ولا يقع
بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ١٠) •

بولس أخذ هذا العبارة ، وعاش بها ، ممتلئا من الايمان
قوة ••• وقف قدام ليسياس الأمير ، وفيلكس الوالى ، وأمام
العزيز فستوس وأغريباس الملك • ولم يستطع أحد منهم أن
يؤذيه • بل على العكس خافوا منه • لماذا خفتم أيها الملوك
والأمراء من هذا الأسير المقيد بالسلاسل ؟ يجيبون : لم نخف
منه ، وانما من الاله الذى معه ، من الرب الساكن فيه •••
بولس هذا فى شخصه نستطيع أن نقدر عليه • ولكن لا نقدر
عليه عندما يقول « أحياء لا أنا ، بل المسيح الذى يحيا فى »
(غل ٢ : ٢٠) •

قبض ليسياس الأمير على بولس ، فماذا فعل به ؟ هل
آذاه فى شىء ؟ كلا • بل أعد قوة مسلحة تتكون من ٢٠٠
عسكري ، و ٧٠ فارسا ، و ٢٠٠ رامح ، فأركبت بولس ،
وأوصلته سـالما الى فيلكس الوالى بقيصرية •••
(أع ٢٣ : ٢٣ ، ٢٤) صحيح يارب ، أنت معنا •

ووقف بولس أمام فيلكس « وبينما كان يتكلم عن البر
والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ، ارتعب فيلكس ...
(أع ٢٤ : ٢٥) .

ارتعب الوالى من أسيره المقيد ، من القوة العجيبة التى
تخرج منه ، من الله الذى معه ، من عمانوئيل ...

ووقف بولس أمام الملك أغريباس ، فكانت النتيجة أن
قال له الملك « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحيا » (ع ٢٦ : ٢٨) .
وشهد عنه قائلا « ان هذا الانسان ليس يفعل شيئا يستحق
الموت أو القيود » .

هذه فكرة عن عمل عمانوئيل الهنا ، عندما يكون معنا ،
ويحطم كل قوة تقف أمام عبيده ، فلا يقع بهم أحد ليؤذيهم .

هذا هو عمانوئيل الذى كان مع الثلاثة فتية فى أتون النار
« فلم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤوسهم لم
تحترق ، وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم »
(وا ٣١ : ٢٧) ، حتى اندهل نبوخذ نصر قائلا « ليس اله
آخر يستطيع أن ينجى هكذا » ...



مُصَلِّية السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

اول شيء نتذكره في ميلاد الرب هو عمق محبته للناس .
فمن أجل محبته لهم سعى لخلاصهم . ومن أجل محبته لهم
أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، ونزل من السماء ، وتجسد
وصار في الهيئة كإنسان (في ٢ : ٧ ، ٨)

ان التجسد والفداء ، أساسهما محبة الله للناس ،
فهو من أجل محبته لنا ، جاء إلينا ، ومن أجل محبته لنا ،
مات عنا . لهذا يقول الكتاب « هكذا أحب الله العالم ، حتى
بذل ابنه الوحيد . . . » (يوحنا ٣ : ١٦) . انظروا ماذا يقول
« هكذا أحب . . . حتى بذل » . نحن اذن في تجسده ،
نذكر محبته التي دفعته الى التجسد . واعترافا منا بهذه
المحبة ، نتغنى بها في بدء كل يوم ، اذ نقول للرب في صلاة
باكر « أتيت الى العالم بمحبتك للبشر ، وكل الخليقة تهلت
بمجيئك » .

**قبل ميلاد السيد المسيح ، كانت هناك خصومة بين الله
والناس . فجاء المسيح لكي يصلحنا مع الله ، أو جاء لكي
نصطلح معه هو . قبل مجيئه كانت هناك خصومة بين السماء
والأرض . ومرت فترة طويلة كانت فيها شبه قطيعة بين
السمايين والأرضيين : لا رؤى ، ولا أحلام مقدسية ، ولا
أنبياء ، ولا كلام من الله للناس ، ولا ظهورات مقدسية . . . ولا**

أية صلة واضحة ... !! كانت الأرض بعيدة عن السماء طوال تلك الفترة ...

كانت خطايا الناس كلياى الشتاء : باردة ومظلمة وطويلة.

وكانت تحجب وجه الله عنهم . وكانت الحصومة بينهم وبين الله ، يمثلها فى الهيكل الحاجز المتوسط الذى لا يستطيع أحد من الشعب أن يجتازه الى قدس الأقداس ... وزادت خطايا الناس ، واحتدم غضب الله عليهم ، واستمرت القطيعة . ولم يحاول البشر أن يصطلحوا مع الله .

ثم جاء السيد المسيح ، فأقام صلحا بين السماء والأرض، وأرجع الصلة بينهما . وبدأت تبشير الصلح تظهر . ورجعت العلاقات كما كانت من قبل وأكثر ...

ولكى أوضح الأمر لكم أقول : تصوروا أن دولتين متخاصمتين ، قد رجع الصلح بينهما ، فماذا تكون النتيجة : طبعا ترجع العلاقات كما كانت : يعود التمثيل السياسى بينهما ، وارسال السفراء والقناصل ... وفى ظل المودة الجديدة تبرم اتفاقية اقتصادية ، اتفاقية ثقافية ، اتفاقية عسكرية ... المهم أنه توجد علاقة وصلة . كذلك لنفرض أن شخصين متخاصمين قد اصطلحا ، فى ظل الصلح نرى العلاقات قد بدأت ترجع ، تعود التحيات والابتسامات والزيارات والأحاديث ، وتعود المودة ... هكذا حدث بين السماء والأرض .
وبدأت تبشير الصلح تظهر بمجىء المسيح الى الأرض او فى خطوات ومهدات مجيئه ...

تباشير الصلح

وأول شيء شاهدناه من تباشير هذا الصلح هو كثرة نزول الملائكة الى الأرض . فى مجيء المسيح وقبيل مجيئه ازداد ظهور الملائكة بشكل واضح . ظهورات متوالية ، فردية وجماعية ، كسفراء للرب . تهلل الملائكة بفرح عظيم، وأرادوا أن يشتركوا فى هذا الحدث العجيب وهو تجسد الرب وميلاده فظهر ملاك يبشر زكريا بولادة يوحنا (لو ١ : ١١) ، وملاك يبشر العذراء بولادة المسيح (لو ١ : ٢٦) ، وملاك ظهر ليوسف فى حلم يخبره بحبل العذراء (متى ١ : ٢٠) . وملاك ظهر للرعاة يبشرهم بالميلاد الالهى (لو ٢ : ٩) . وملاك ظهر ليوسف فى حلم وأمره أن يهرب بالطفل يسوع وأمه الى مصر (متى ٢ : ١٣) . بالاضافة الى هذا جمهور الملائكة الذين ظهروا مسبحين الله وقائلين « المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » (لو ١٢ : ٢٣ و ١٤) . ان ظهور الملائكة بهذه الكثرة ، يدل على أن العلاقات بدأت ترجع بين السماء والأرض ، وتدل على فرح الملائكة بالحلص المزمع ، واشتراكهم مع الأرضيين فى هذا الفرح .

وظهور الملائكة فى فترة الميلاد كان مجرد طلائع للملائكة الذين ملأوا العهد الجديد . . . ملائكة كانوا يخدمون الرب على جبل التجربة (مر ١ : ١٣) ، وملائكة القيامة الذين ظهروا للنسوة ، ومثل الملاكين اللذين طمأنا الرسل وقت صعود

الرب (أ ع ١ : ١٠) كان هؤلاء جميعا طلائع نعرف بهم
الملائكة غير المرئيين المحيطين بنا الآن ، الذين قال عنهم القديس
بولس الرسول « أليس جميعهم أرواحا خادمة ، مرسلة للخدمة
لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) .

**ولم تكف السماء في صلاحها مع الأرض بظهور الملائكة ،
بل امتدت الى الأحلام المقدسة بما فيها من توجيه ومن اعلان .**

اجتمع الأهران معا بالنسبة ليوسف الصديق : ملاك ظهر
له في حلم يخبره بالحبل المقدس (متى ١ : ٢٠) . وملاك ظهر
له في حلم يأمره بالذهاب الى مصر (متى ٢ : ١٣) . ثم
بعد ذلك ظهر له ملاك في حلم في أرض مصر يأمره أن يرجع
الى بلده لانه « قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى »
(متى ٢ : ٢٠) . ولما خاف أن يذهب الى اليهودية بسبب أن
ارخيلاوس كان يملك هناك ، « أوحى اليه في حلم » أن ينصرف
الى نواحي الجليل ، فذهب وسكن في الناصرة (متى ٢ : ٢٢) .

**هؤلاء الملائكة الذين ظهوروا ليوسف الصديق في الأحلام ،
يعطوننا فكرة عن سمو مكانة العذراء . فالعذراء ظهر لها
الملائكة عيانا في صحوها ، رأيتهم بعينيها وسمعتهم بأذنيها ،
أما يوسف الصديق فرأى وسمع في الأحلام . ان هذا يذكرنا
بالفرق الكبير بين مركز موسى النبي ومركز هارون ومريم ،
الذين وبخهما الرب عندما تقولا على موسى ، فقال لهما « ان
كان منكم نبي للرب ، فبالرؤيا استعلن له ، في الحلم أكلمه .**

وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى . فما
الى فم وعيانا أتكلم معه » (عدد ١٢ : ٦-٨) .

لقد كلم الملائكة يوسف الصديق عن طريق الاحلام .
وهكذا حدث أيضا مع المجوس ، بعد أن رأوا الطفل يسوع ،
وقدموا له هداياهم « أوحى اليهم فى حلم أن لا يرجعوا الى
هيرودس » فانصرفوا الى كورثتهم (متى ٢ : ١٢) .

**وحديث المجوس يذكرنا بظهورات مقدسة أخرى صاحبت
حدث الميلاد ، ونقصد أولا النجم الذى ظهر للمجوس ،
وأرشدهم الى مكان المزود المقدس (متى ٢ : ١-١٢) . لم يكن
ذلك النجم نجما عاديا - كما شرح القديس يوحنا ذهبى الفم -
بل كان قوة الهية أرشدتهم . ذلك أن مساره كان غير عادى،
من الشرق الى الغرب . وكان يظهر حيناً ، ويختفى حيناً
آخر ، ويقف حيناً ثالث . كذلك ارشاده لمكان المزود معناه
أنه هبط من علوه هبوطاً يوضح المكان وبخاصة لأن الكتاب
يقول عنه انه « وقف حيث كان الصبى » . هذا النجم كان
ظهوراً مقدساً ولم يكن نجماً كباقي النجوم ...**

**وفى صلح السماء مع الأرض الذى جلبته بركة الميلاد لم
تقتصر الصلة على ظهور الملائكة والاحلام المقدسة والظهورات
المقدسة ، بل أيضا رجعت روح النبوة مرة أخرى ، ورجع
عمل الروح القدس فى الناس وامتلاؤهم منه .**

نقرأ عن يوحنا المعمدان فى بشارة الملاك عنه انه « من
بطن أمه يمتلئ من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) . ونقرأ فى
بشارة الملاك للعدراء قوله لها « الروح القدس يحل عليك ،
وقوة العلى تظملك » (لو ١ : ٣٥) . ونقرأ فى زيارة العذراء
مريم للمقديسة اليصابات انه « لما سمعت اليصابات سلام
مريم ، ارتكض الجنين فى بطنها ، وامتلات اليصابات من الروح
القدس » (لو ١ : ٤١) . ونقرأ عن زكريا الكاهن - بعد
انقضاء فترة صمته - « وامتلا زكريا أبوه من الروح القدس
وتنبأ قائلاً . . . » (لو ١ : ٦٧) . نقرأ أيضا عن سمعان
الشيخ انه كان رجلا بارا « والروح القدس كان عليه وكان
قد أوحى اليه بالروح القدس . . . » (لو ٢ : ٢٥ ، ٢٦) .

**عجيب جدا هذا العمل الواسع للروح القدس فى الناس
فى تلك الفترة المقدسة . وعجيب هذا الامتلاء من الروح
القدس وهذا الحلول ، وهذا التنبوء أيضا . . .** لقد تنبأ زكريا
الكاهن ، وتنبأت امرأته اليصابات ، وتنبأ سمعان الشيخ ،
وتنبأت حنة بنت فنوئيل (لو ٢ : ٣٦) . وبدا أن الله رجع
يتكلم فى أفواء الأنبياء . . . وكل ذلك كان من بوادر انتهاء
الخصومة بميلاد المسيح ، أو كانت هذه هى تباشير الصلح
الذى تم على الصليب .

**وكان من تباشير الصلح أيضا رجوع المعجزات .
والمعجزات دليل عمل يد الله مع الناس . . .** كان انفتاح رحم
اليصابات العاقر هو المعجزة الأولى . وكان صمت زكريا

الكاهن ثم انفتاح فمه بعد تسعة أشهر معجزتين أخريين •
وكانت معجزة المعجزات هي ولادة السيد المسيح من عذراء •
وكان ارتكاض الجنين بابتهاج فى بطن اليصابات تحية للجنين
الاله الذى فى بطن العذراء هو معجزة أخرى • ولا نستطيع
أن نحصى المعجزات التى رافقت ميلاد المسيح وطفولته • أما
معجزاته فى أرض مصر، فلعل أبرزها هو ما يشير اليه أشعيا
النبي قائلا « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى
مصر • فترتجف أوثان مصر من وجهه ، وينوب قلب مصر
داخلها » (أش ١٩ : ١) • وفعلا سقطت أوثان مصر بدخول
الرب اليها •••

كل هذا يدل على أن يد الرب قد بدأت تعمل ، وان ميلاد
المسيح كان مقدمة لصلح السماء مع الأرض ، الصلح الذى
قلنا ان أولى تباشيره كان ظهور الملائكة • ويحسن أن نقف
وقفة تأمل بسيطة عند ظهورات الملائكة هذه •••

■ **أول ملاك ظهر وذكره الانجيل المقدس ، كان هو الملاك**
الذى ظهر لزكريا الكاهن • انها لفتة كريمة من الرب يعطى
بها كرامة للكهنوت ، فيكون ظهور الملائكة أولا للكهننة ، بعد
فترة الاحتجاب الطويلة • ولفته كريمة أخرى للكهنوت ، أن
يظهر الملاك فى مكان مقدس « واقفا عن يمين مذبح البخور » ،
وفى لحظة مقدسة عندما كان زكريا البار يكهن للرب ويرفع
البخور أمامه (لو ١ : ٨-١٠) •••

جميل من الرب أنه عندما أرسل خدامه السمايين ،
أرسلهم أولا الى بيته المقدس والى خدام مذبحه الطاهر .
ولا شك أن هذا كله يشعرانا بجمال المذبح الذى وقف الملاك
عن يمينه فى أول تبشير الصلح . كم بالاكتر جدا مذبح العهد
الجديد فى قدسيته الفائقة للحد ، حيث ملاك الذبيحة الصاعد
الى العلو يحمل الى الله تضرعنا . . .
نعود الى الملاك الطاهر الذى ظهر لزكريا الكاهن . . .

**كان ملاكا يحمل بشارة مفرحة . لقد عاد الرب يفرح وجه
الأرض التى حرمت كثيرا من أفراحه فى فترة القطيعة والخصومة .
وهل هناك فرح أعظم من تبشير زوج العاقر بأنها ستلد ابنا
« لم يقم بين المولودين من النساء من هو أعظم منه » (متى
١١ : ١١) ، ابنا سيكون « عظيما أمام الرب » (لو ١ : ١٥) !!
عبارات « الفرح » تدفقت من فم الملاك ، فقال « لا تخف
يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت ، وامراتك اليصابات ستلد
لك ابنا ، وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح ، وابتهاج ،
وكثيرون سيفرحون بولادته » .**

**وكانت ايعاءة جميلة من الرب فى تبشير هذا الصلح ،
أن يسمى الطفل « يوحنا » . . . وكلمة يوحنا معناها « الله
حنان » !!**

وكان الله يقصد أنه وان تركنا زمنا ، الا أن محبته دائمة
الى الأبد ، « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئها » (نش ٨ : ٧) .
وأنه وان حجب وجهه حيننا ، فانه لا يحجب قلبه الحنون .

فعلى الرغم من فترة القطيعة بين السماء والأرض التي سبقت ميلاد المسيح ، وعلى الرغم من الخسومة القائمة ، كان الله ما يزال كما هو ، كله حنان وشفقة . . . « الله حنان » أو « الله حنون » . لعل هذا يذكرنا بقول الرب من قبل « لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب ، وكزوجة الصبا . . . لحظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة ، وباحسان أبدي أرحمك . . . »
(أش ٥٤ : ٦-٨)

انها نبوءة أشعيا عن مصالحة الرب لشعبه وكنيسته ،
قد بدأت تتحقق . . . تلك النبوءة العجيبة ، الجميلة في موسيقاها ، التي بدأها الرب بنشيد العذب « ترنمى أيتها العاقر التي لم تلد . . . » (أش ٥٤ : ١) . ترى أكانت اليصابات « العاقر التي لم تلد » رمزا للكنيسة في افتقاد الرب لها ؟ وهل كان اسم ابنها يوحنا « الله حنان » رمزا أيضا لمصالحة الله لكنيسته ؟ وهل ترنم اليصابات « العاقر التي لم تلد » كان بشيرا بتحقيق باقى مواعيد الله اذ يقول لكنيسته فى نفس النشيد :

« كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض ، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك . فان الجبال تزول ، والآكام تتزعزع . أما احسانى فلا يزول عنك ، وعهد سلامى لا يتزعزع ، قال راحمك الرب » .

« أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ، هأنذا أبنى بالأثمد

هجارتك ، وبالياقوت الأزرق أو سسك • وأجعل شرفاتك
ياقوتا ، وأبوابك حجارة بهرمانية ، وكل تخومك حجارة
كريمة • وأجعل كل بنيك تلاميذ للرب ، وسلام بنيك كثيرا ،
(أش ٥٤ : ٦-١٣)

هل كان هذا الاصحاح الرابع والخمسون من نبوءة اشعيا
موضع تأمل القديسة اليصابات في خلاص الرب القريب، طوال
الستة أشهر التي مرت ما بين بشارة الملاك لزكريا وبشارة
الملاك للعدراء ؟! ان هذه الفكرة تملأ قلبي ، وتضغط على عقلي
بالحاح شديد . . . ولا شك أن هذه القديسة الشبيخة التي
كانت تحمل ابنا نذيرا للرب في أحشائها ، كانت تشعر أنه
ليس بأمر عادي هذا الذي حدث لها • واذ تتأمل في هذا
الفصل من اشعيا - الذي ينطبق عليها وعلى الكنيسة - يهز
كيانها كله هذا « النبي الأنجيلي » اذ يقول « ها العذراء تحبل
وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٤) •

قلنا انه من تبشير الصلح بين السماء والأرض كان ظهور
الملائكة للبشر • وكان الملاك الأول هو الذي بشر زكريا الكاهن

■ **أما الملاك الثاني ، فكان جبرائيل ، الذي بشر السيدة**
العدراء •

نلاحظ أن هذا الملاك كان له مع العذراء أسلوب معين •
لقد بدأها بالتحية ، بأسلوب كله توقير واحترام لها • في
بشارة زكريا لم يبدأه الملاك بالتحية ، وإنما قال له « لا تخف

يا زكريا فان طلبتك قد سمعت » • أما في بشارة العذراء
فقال لها الملاك « السلام لك أيتها الممتلئة نعمة • **الرب معك** • »
وعندئذ - بعد هذه المقدمة - بدأ الملاك في اعلان رسالته •
وحتى هذه الرسالة أدمجها بعبارة مديح أخرى فقال « لا تخافى
يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله » ثم بعد ذلك بشرها
بالخبر الذى جاء من أجله « ها أنت ستحبلين وتلدين ابنا
وتسمينه يسوع • • • » •

**انه أسلوب احترام عجيب يليق بالتحدث مع والدة الاله
المجدة ، الملكة الجالسة عن يمين الملك •**

لم يستطع رئيس الملائكة جبرائيل أن ينسى أنه واقف أمام
أقدس امرأة فى الوجود ، وأنه واقف أمام أم سيده ، التى
ستكون سماءا ثانية لله الكلمة • فخاطبها بأسلوب غير الذى
خوطف به الكاهن البار زكريا • • •

هنا نلاحظ أنه لم يبدأ فقط صلح بين السمائيين
والأرضيين ، بل بدأ تقدير وتوقير من سكان السماء لسكان
الأرض فى شخص أمنا وسيدتنا العذراء مريم • • • فمرحبا
بهذا الصلح •

■ أما الظهور الثالث ، فكان ظهور ملاك الرب للرعاة •

هنا نجد تقدما ملموسا فى العلاقات ، اذ لم يقتصر الأمر
على أن « ملاك الرب وقف بهم » بل يقول الكتاب أكثر من هذا
« ومجد الرب • • أضاء حولهم » • وبعد أن بشرهم الملاك

« بفرح عظيم » يكون « لجميع الشعب » ، وبولادة « مخلص » ،
« ظهر بغتة - مع الملاك - جمهور من الجنود السماوي مسيحين
الله وقائلين : « المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ،
وبالناس المسرة » .

وهنا نسمع عبارات الفرح ، والمبيرة ، والسلام ، والخلاص
••• وبدلاً من ظهور ملاك واحد ، نرى جمهوراً من الجنود
السماوي يسبحون •

انها تباشير الصلح العظيم ، المزمع أن يتم على الصليب •
ونلاحظ أن هذا الصلح قد بدأه الله لا الناس •

الله يُصَالِحُ الْبَشَرِيَّةَ

اول ما نتذكره في هذا المجال ، هو أن الله يسعى لخلاص
الانسان ، حتى لو كان الانسان لا يسعى لخلاص نفسه •

نلاحظ هذا منذ البدء : عندما أخطأ آدم وسقط ، لم يسع
لخلاص نفسه ، بل نراه - على العكس من ذلك - قد هرب من
الله ، وخاف من الله ، واختفى من الله • لم يحدث أنه سعى الى
الله ، طالبا الصفح والمغفرة ، وطالبا النقاوة والطهارة • بل
انه « لما سمع صوت الرب الاله ماشيا في الجنة ••• » ، اختبأ
هو وامراته من وجه الرب (تك ٣ : ٨) • وهكذا أوجد
حجاباً وحاجزاً بينه وبين الله • وبدأت الخصومة •

من الذى سعى لخلاص آدم ؟ انه الله نفسه ، دون ان يطلب آدم منه ذلك . آدم شغله الخوف عن الخلاص أو حتى عن مجرد التفكير فيه وهكذا بحث الله عن آدم ، وتحدث معه وأعطاه وعدا بأن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) .

لقد اعتبر الله أن المعركة الدائرة هي بينه وبين الشيطان ، وليست بين الشيطان والانسان . اعتبر أن قضيتنا هي قضيته هو . وإذا بنسل المرأة الذى يسحق رأس الحية هو الله نفسه الذى أتى فى ملء الزمان من نسل المرأة . هو الله اذن الذى دبر قصة الخلاص كلها ، لأنه « يريد أن الجميع يخلصون ، والى معرفة الحق يقبلون » (١ تى ٢ : ٤) . هو يريد خلاصنا جميعا ويسعى اليه ، حتى ان كنا نحن - فى تكاسلنا أو فى شهواتنا - غافلين عن خلاص أنفسنا !

فى قصة الخروف الضال ، نرى أن هذا الخروف الضال لم يسع لخلاص نفسه ، وانما ظل تائها وبعيدا . والراعى الصالح هو الذى جرى وراءه ، هو الذى فتش عليه وسعى اليه ، وهو الذى تعب من أجله الى أن وجده ، وحمله على منكبيه فرحا ، ورجع به سالما الى الحظيرة

وفى قصة الدرهم المفقود ، نجد نفس الوضع أيضا الله اذن هو الذى يسعى جاهدا لخلاص الانسان .

فان تعطل خلاص الانسان ، يكون السبب بلا شك راجعا الى الانسان ذاته وليس الى الله .

وهذا الأمر واضح فى تبكيت الرب لأورشليم ، اذ قال لها
« يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين
اليها • كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة
فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا » (متى ٢٣ : ٣٧) •••
أنا أردت ، وأنتم لم تريدوا •••

مثال آخر هو عروس النشيد • الله هو الذى سعى لخلاصها
« طافرا على الجبال ، وقافزا على التلال » • وقال لها « افتحى لى
يا أختى يا حبيبتى يا حمامتى يا كاملتى ، لأن رأسى قد امتلأ
من الطل وقصى من ندى الليل » (نش ٥ : ٢) • وتكاسلت
النفس فى الاستجابة ، وتعللت بالأعذار • فماذا كانت
النتيجة ••• كانت انها عطلت عمل النعمة فيها بعض الوقت ،
وصاحت فى ندم • حبيبى تحول وعبر ، •••

**تأكد انك ان كنت تريد الخلاص من الخطية ، فان الله يريد
لك ذلك أضعافاً مضاعفة ••• المهم انك تبدى رغبتك المقدسة
عنه • هناك عبارة لطيفة قالها أحد القديسين • قال « ان
الفضيلة تريدنا أن نريدها لا غير » • يكفى أن نريد ، ارادة
جادة ، والله يتولى الباقي • بل حتى هذه الارادة هو يمنحها
لنا ، لأجل خلاصنا •**

**ومن القصص العجيبة عن سعى الله لخلاصنا ، ما يقوله الله
- فى سفر حزقيال النبي - للنفس الخاطئة الملوثة •••
« مررت بك ورأيتك مدوسة بدمك ••• وقد كنت عريانة
وعارية • فمررت بك ورأيتك واذا زمناك زمن الحب • فبسطت**

ذيلي عليك . . . ودخلت معك في عهد - يقول السيد الرب -
فحمتك بالماء ، وغسلت عنك دماءك ، ومسحتك بالزيت ،
والبسنتك مطرزة . . . وجملت جدا جدا ، فصلحت لمملكة »
(حز ١٦) .

تلك النفس المسكينة - لو تركت لذاتها - لبقيت على
حالتها مطروحة وملوثة ، عريانة وعارية . ولكن الله فعل من
أجلها الكثير ، وأنقذها مما هي فيه . . .

ولكن ليس معنى سمى الله لخلصنا ، أننا نتكل على ذلك
ونكسل ! كلا والافانه يتحول ويعبر كما حدث مع عروس
النشيد . انما يجب أن تتحد ارادتنا بارادته ، وعملنا بعمله .
هو ينزل الى عالمنا ، ونحن نقدم له ولو مزودا ليستريح فيه . . .
ان الله يسمي لخلصنا ، ويسمى ليصالحنا معه . عجيب
في هذه المصالحة ، أننا نرى الصلح يبدأ من جانب الله ، أكثر
مما يبدأ من جانب البشر . . . انه درس لنا حينما تكبر قلوبنا
على اخوتنا الصغار ، فلا نسعى لمصالحتهم بحجة أننا الكبار !!
بينما قد وضع لنا الله مثلا حسنا . .

الكبير يسعى لمصالحة الصغير

في كل تبشير الصلح التي ذكرناها نرى أن الله هو
الساعي لمصالحة البشرية . النور الذي لا يدنى منه ، يسعى
لمصالحة التراب والرماد ! ملك الملوك ورب الأرباب يتقدم

ليصالح عبيده . . . نراه أنه هو الذى أرسل الملائكة للبشر
وهو الذى بعث اليهم برسائل فى الأحلام . وهو الذى أرجع
لهم روح النبوة ، وهو الذى عمل على إعادة العلاقات كما
كانت من قبل . . . بل هو الذى أرسل اليهم ابنه الوحيد
ليخلصهم ، من فرط محبته لهم .

**وكما قال القديس يعقوب السروجي : انه كانت هناك
خصومة بين الله والانسان . فلما لم يتقدم الانسان لمصالحة الله
نزل الله ليصالح الانسان .**

ولم يحدث هذا فى الميلاد فقط ، وإنما كان هو دأب الله
دائما . نراه وهو الكبير العالى غير المحدود يستغى لمصالحة
الانسان . يقول « أنا واقف على الباب وأقرع . من يفتح لى
أدخل وأتعشى معى » (رؤ ٣ : ٢٩) . ونحن نتساءل فى
عجب : كيف يارب تقف على الباب ، وتقرع . البشر هم الذين
يذهبون الى بابك ، ويقبلون أعتابك . ويطلبون رضاك . . .
يقول الله : بل أنا الذى أذهب اليهم . أنا لست أبحث عن
كرامة لى ، وإنما أنا أبحث عن خلاصهم هم ، ولا يمكننى أن
أستريح حتى أطمئن على خلاصهم .

حقا ، ما أعجب قلب الله المحب ، وما أعجب تواضعه . . .
الله يرسل الأنبياء والرسول لى يصالحوه مع البشر .
يعترف بولس الرسول بهذا فيقول « نسعى كسفراء عن
المسيح ، كأب الله يعظ بنا ، نطلب عن المسيح : تصالحوا مع
الله ، (٢ كو ٥ : ٢٠) .

حقًا : هل كان هناك عمل آخر للأنبياء سوى عقد صلح بين الله والناس . والله هو الذى طلب الصلح فأرسل أنبياءه! بل ما أعجب الرب فى سعيه للصلح اذ يقول : « بسطت يدي طول النهار ، الى شعب معاند ومقاوم » (رو ١٠ : ٢١) . ورغم معاندة الشعب مازال الرب باسطة يده ، يطلب صلحا معنا بل ان الله يقول للناس « هلم نتحاجج » (أش ١: ٢١) .

الله هو الذى صالح يونان النبي لما اغتم واغتاظ ،
مع أن غضبه لم يكن بحسب مشيئة الرب . أعد له يقطينة « فارتفعت فوق يونان لتكون ظلا على رأسه ، لكى يخلصه من غمه » وظل يجاذبه الحديث قائلا له « هل اغتظت بالصواب ؟ » ويونان يجيب « اغتظت بالصواب حتى الموت » . وهكذا لم يزل به حتى أقنعه وصالحه (يونان ٤) .

والسامرة التى أغلقت أبوابها فى وجهه ، لأن وجهه كان متجها نحو أورشليم ، لم يتضايق من تصرفها هذا ، ولم ينزل نارا من السماء ليحرقها كما اقترح التلميذان ، بل ذهب اليها مرة أخرى ليصالحها ، وهى المخطئة . وبذل من حبه ورعايته حتى أصلحها وصارت له (يو ٤) .

وفى قصة الابن الضال ، نرى ان الابن الكبير لما غضب ورفض أن يدخل ، ورفض أن يشترك فى الفرح برجوع أخيه، مع ان غضبه لم يكن مقدسا ، ومع أن ارادته كانت ضد ارادة

الأب ، إلا أن الأب ذهب إليه ليصالحه . وفى ذلك يقول الكتاب
« فخرج أبوه يتوسل إليه » (لو ١٥ : ٢٨) .

ومع ان كلام هذا الابن كان قاسيا فى حديثه مع أبيه، وكانت
اتهاماته كثيرة وظالمة ، إلا ان الأب احتمله ، وأطال أناته عليه
حتى صالحه . ولم يقل له كيف وأنت صغير تكلمنى هكذا !

**ولما أخطأ بطرس وأنكر المسيح ، لم ينتظر الرب حتى
يأتى بطرس تائباً ومعتذراً ، بل هو الذى بدأه بالكلام ، وسهل
الأمر عليه ، وأرجع العلاقات كما كانت ، بنفس الدالة . . .**

ان الرب لا يرى فى سعيه للصلح انقاصاً لقدره أو اضعافاً
لكرامته ، بل على العكس انه يبرهن على محبته وعلى تواضعه
فيزداد حب الناس له .

**وان كان الله بميلاده قد جاء ليصالحنا ، فاذهب انت
يا اخي وصالح غيرك . لا تقل كيف أذهب أنا ؟ هم الذين
يأتون . كلا ، فإن الذى يقوم بالصلح ، هو الذى ينال بركته
. . . ولا تقل كيف أصالح ابنى ، أو اخي الأصغر ، أو خادمى ،
أو مرؤوسى ، وأنا الكبير !؟**

اعرف تماما أن الكبير هو الكبير فى قلبه وفى حبه ، وهو
الكبير فى فضائله وفى احتمالاه . والله لا يقيس الناس بمقياس
السن أو المركز ، بل بنقاوة القلب .

ومهما كنت كبيرا ، فلن تكون مطلقا في درجة الله الذي
سعى لمصالحة عميده ومخلوقاته ! وحاذر من أن تطلب احتراماً
يليق بك ، حتى لو كان يليق بك المجد والكرامة !! بل
اطلب محبة الناس وبركتهم . وفي ذكرى الميلاد تذكر تواضع
الرب الذي نزل من سمائه اليينا ، فكيف لا نتنازل بعضنا
لللبعض ...

وفي مصالحة الناس ، لا تفكر في خطية غيرك - كبيرا كان
أم صغيرا - وإنما فكر في نقاوة قلبك ، وضع أمامك تواضع
الرب في مصالحته للبشر .



دروس من حياة العذراء

انتضاع العذراء

فى الحديث عن الميلاد البتولى المجيد ، لا نستطيع أن نتكلم عن المجوس وهيرودس والرعاة ونترك شخصية العذراء التى هى مصدر دسم عميق للتأملات الروحية . السيدة العذراء هى أطهر وأنقى وأقدس فتاة وجدت على سطح الأرض ، ولا يوجد لها شبيهه

لقد وعد الله الانسان بالخلاص ، وقال له ان نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية . ومرت آلاف من السنين الى أن تم هذا الخلاص . ولعل من أهم أسباب هذا الانتظار أن الرب كان ينتظر الفتاة القديسة الطاهرة التى يمكنه أن يحل فى أحشائها .

كان ملء الزمان ينتظر هذه الفتاة القديسة . آلاف من النساء وجدن على الأرض . كل واحدة منهن كانت تشتهى أن يولد منها المـيـسـح ، حتى أن العقم حسب فى ذلك الزمان عارا ولكن الرب لم يحل فى أحشاء أية واحدة من كل تلك الآلاف من النساء .

كان لابد من وجود فتاة من نوع معين ، تكون أهلا لأن

ياخذ الرب منها جسدا : يسكن في بطنها ، ويتغذى من
دمائها ، ثم يولد منها ويرضع من لبنها ، ويعيش في كنفها
سنوات ٠٠٠ لم تكن أية فتاة تصلح لهذا الأمر . كان لابد من
واحدة تتميز بصفات خاصة تؤهلها لهذا العمل العظيم ٠٠٠
وكانت العذراء مريم هي هذه الواحدة التي انتظرتها الأجيال
الطويلة .

فما هي الصفات التي اهلتها لهذا المجد وهذه الطوبى ؟

كانت اول صفة تشترط فيها هي التواضع . فلماذا ؟
ما هي أهمية التواضع بالنسبة للدور العظيم الذي عهد به
الى العذراء ؟

ان المسيح الهنا المتواضع ، كان لابد ان يختار فتاة
متواضعة لكي يولد منها . ليس فقط من أجل جمال فضيلة
التواضع ، وانما لأمن آخر أخطر من هذا بكثير ٠٠٠

**ذلك لأن الفتاة المتواضعة هي الوحيدة التي تستطيع ان
تحتمل هذا المجد العظيم الذي به تدعى « والدة الاله » ٠٠٠**

حقا ، من هي التي تستطيع ان تحتمل هذا اللقب العظيم
الذي لم يطلق على امرأة أخرى في الوجود ؟ من تحتمل الحمل
الالهى المقدس ، وتعلم أن الروح القدس يحل عليها ، وقوة
العلي تظللها ، وتعلم أن القدوس المولود منها يدعى ابن الله ؟
من تحتمل هذا ؟ ومن يمكنها أن تحتمل أيضا ظهورات
الملائكة ، وكثرة الرؤى والمعجزات والأعاجيب التي تصحب

وجود الله الكلمة فيها ومعها ؟ ... هل أية فتاة أو امرأة
يمكنها أن تحتل كل هذا المجد ، وكل ما يقابلها من تطويب
ومديح ؟!

ان لم تكن فتاة متضعة ومنسحقة النفس من الداخل ،
فان كل تلك الكرامة لابد أن تهزها هزا وتتعبها . لذلك كان
لابد من فتاة لها من عمق الاتضاع ما يعادل علو تلك الكرامة .
وهنا يظهر سمو العذراء .

فى العالم- نساء كثيرات لا يحتملن شيئا من المجد العالمى
مهما كان تافها ، فكم بالحرى المجد الالهى أو المجد الروحى ...
امرأة ان ظهرت نتيجة المدرسة ، وكان ابنها أول فرقته ،
لا يمكن أن تحتل الفرحة ، وتظل تدور على البيوت ، وتقول
فى كل زيارة ولكل أحد « ابنى أول فرقته » ... امرأة أخرى
ان صار ابنها طبيبا ، أو حتى دخل كلية الطب، مجرد دخول،
تصر على أن يسميها الناس « أم الدكتور » . وامرأة أخرى
ان سافر ابنها الى الخارج فى بعثة ، تحاول أن تخلق مناسبة
أو غير مناسبة لكى تعلن على الناس ان ابنها سافر فى بعثة ..!
ماذا يحدث اذن لو ان ابن واحدة من هؤلاء كان هو الله ،
حاشا .. لا شك انها تجن ، ولا تحتل ... لهذا كان لابد
أن يختار الله فتاة متواضعة تحتل كل تلك الكرامة ...

هذا الأمر واضح فى تسبحة العذراء اذ تقول « تعظم
نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى ... لأنه نظر الى

اتضاع أمته « (لو ١ : ٤٨) • نظر الى اتضاع أمته ، الى
مذلتها وعوزها ويتمها وفقرها ، ولم يختبر فتاة أخرى جليلة
القدر ، عظيمة في نظر الناس • بل على العكس « انزل الأعداء
عن الكراسي ورفع المتضعين » •

نلاحظ هنا انها قالت « أمته » أي عبدته وخدمته • ونفس
التعبير قالته للملاك « هوذا أنا أمة الرب » (لو ١ : ٣٨) •
قالت « أمته » وهي « أمة » •••

ان البشارة العجيبة لم ترفع قلب العذراء ، بل ظلت كما
هي في انسحاقها • لم ترتفع اذ اختيرت دون كل نساء العالم
في جميع الأجيال ، لهذا المجد وهذه الطوبى • وانما بقيت كما
هي في اتضاعها ، كأن شيئاً لم يحدث • ولما سمعت أن
ليصابات حبلت في شيخوختها ، أسرع لتضع نفسها في
خدمتها •

مقاومة العذراء لليصابات

سمعت العذراء القديسة من الملاك أن اليصابات حبلت
في شيخوختها ، وأنها في الشهر السادس ، فأدركت انها
لا شك محتاجة الى خدمة • ولم تستنكف من الذهاب اليها
الوقوف الى جوارها لخدمتها •

لم تقل في نفسها « كيف أذهب لخدمة هذه العجوز ،
أنا المتلئة نعمة ، أنا المختارة من بين نساء العالم كله ،

أنا المباركة فى النساء ، أنا التى أحمل فى أحشائى الله
الكلمة ... ! » • بل أسرع ، وصعدت الجبال وهى حامل ،
وذهبت إليها فى اتضاع • وشعرت اليصابات باتضاع العذراء
فى هذه الزيارة الكريمة • فقالت لها « من أين لى هذا ، أن
تأتى أم ربهى الى » (لو ١ : ٤٣) •

هذه الزيارة تعطينا فكرة سامية عن مقابلات القديسين
وعن طابع الزيارات المقدسة : زيارة عجيبة يعمل فيها الروح
القدس ، كلها كلام روحى ، وتسبيح لله • لم يتكلم فيها
أحد كلاما خارجا أو كلاما زائدا ، بل كله للبنيان • وزيارة
فيها كل واحد يتضع للآخر : العذراء تتضع وتأتى لخدمة
الصابات ، والصابات تقول فى اتضاع للعذراء « من أين
لى هذا أو تأتى أم ربهى الى » •••

وكانت زيارة تعطى فكرة عن مكانة العذراء العجيبة عند الله
••• اذ أنه بمجرد كلمة السلام التى ألقتها مريم العذراء
الى الصابات ، امتلأت الصابات من الروح القدس ،
وتنبأت ، وارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها • انظروا ماذا
يقول الكتاب « فلما سمعت الصابات سلام مريم ، ارتكض
الجنين فى بطنها ، وامتلأت الصابات من الروح القدس »
(لو ١ : ٤١) • واعترفت الصابات بهذا فقالت للعذراء
« هوذا حين صار صوت سلامك فى اذنى ، ارتكض الجنين
بابتهاج فى بطنى » •

صدقونى اننى وقفت منذهلا أمام هذه العبارات العجيبة ...!

ها هذه الموهبة العظيمة التي للعدراء!؟ مجرد أن يدخل سلامها
في أذن اليصابات ، تمتلئ اليصابات من الروح القدس . . . !
هذا عجيب حقا . . . تصوروا أن انسانا يدخل الى بيت ،
ويقول للموجودين « صباح الخير يا جماعة » ، فيمتلئ هؤلاء
من الروح القدس ، ويتنبأون !! . . . هكذا حدث من العدراء .
وأرانا الرب أنه من أول وهلة للحبل المقدس ، أعطى هذه
الكرامة العظيمة للمستودع الذي حل فيه . . . ويزيد هذه
الأعجوبة عمقا انها تمت بمجرد السلام : اعنى أن العدراء
لم تضع يدها على رأس اليصابات ، ولم تقدم عنها صلاة ،
ولا تشفعت فيها ، ولا باركتها بكلمة بركة . ولكن بمجرد أنها
سلمت عليها حلت كل تلك البركات . . .

هل أنت كذلك يا أخى : اذا زوت بيتا ، يمتلئ أهل هذا
البيت من الروح القدس وتحل عليهم المواهب . . .
ويتبارك البيت بوجودك ؟ هل يكون وجودك بركة لهذا البيت ،
مثلما كان وجود العدراء فى بيت اليصابات ، ومثلما كان
ايليا فى بيت الأرملة ، واليشع فى علية الشونمية . ليتك
تكون كذلك . . . أعود بك مرة أخرى لنتابع تأملاتنا فى زيارة
مريم لاليصابات :

نلاحظ فى هذه الزيارة ، أن روح الاعلان والكشف بدأ
يعمل فى القديسة اليصابات . . . رفع الله عنها الحجاب
فبدأت ترى المخفيات والمحجبات . . . ! ما دلائل ذلك ؟ سنرى
الآن :

قالت اليصابات لمريم « من أين لى هذا ، أن تأتي أم ربى الى » . كيف عرفت أن هذه هى « أم ربها » ؟ كيف عرفت أن الرب قد حل فيها ؟ أليس حقا أن القديسة اليصابات قد أدركت ما لم يستطع ادراكه أريوسى ونسطور بعد مئات السنين على الرغم من مكانتهما العلمية والكهنوتية ؟! بل من أين لأليصابات أن تعرف بحبل العذراء حتى تقول « ومباركة هى ثمرة بطنك » ؟! ومن أين لها أن تعلم بأن العذراء « قد آمنت بما قيل لها من قبل الرب » ؟!

كيف اتيج لها أن تعرف ما قاله الملاك للعذراء ،
والعذراء لم تكن قد أخبرتها بعد بشيء . . . ؟! حقا ان « سر الرب لحائفيه » كما يقول الكتاب (مز ٢٥ : ١٤) . انها لم تعرف فقط « ما قيل لها من قبل الرب » وايمانها به ، وانما هى أيضا حيت العذراء بنفس تحية الملاك لها ، بنفس العبارة التى قالها لها الملاك « مباركة أنت فى النساء » (لو ١ : ٢٨ ، ٤٢) . . . هذا عجيب . . .

وأمام عظمة العذراء ، أو بالحري أمام عظمة ابنها ،
تصاغررت اليصابات وتضائلت، ونست ما قيل عن عظمة ابنها...
لقد قيل عن ابنها انه « يكون عظيما أمام الرب » وانه « يرد كثيرين الى الرب الههم » وانه « يتقدم أمامه بروح ايليسا وقوته » وانه « يهيبء للرب شعبا مستعدا » « وكثيرون سيفرحون بولادته » . ولكن كل هذا تضائل أمام ما قيل للعذراء من قبل الرب . . . نست اليصابات كل عظمة ابنها

وهى واقفة أمام أم ربها • وكما أن يوحنا اختفى لكنى يظهر
المسيح ، كذلك اختفت عظمتة وهو جنين ، أمام عظمة الجنين
الالهى • وعلى رأى الشاعر « فى طلعة الشمس من ذا يبصر
الشهبا » ؟!

مكثت العذراء ثلاثة أشهر عند اليصابات ، بقيت معها
طوال شهور الحمل الأخيرة حتى وضعت ••• هذا يظهر لنا
صفة جميلة أخرى وهى **روح الخدمة عند العذراء** • كانت فتاة
خدومة ، تحب خدمة الآخرين وتتعب لأجلهم • كانت كابنها
الذى « لم يأت ليخدم ، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن
كثيرين » (مز ١٠ : ٤٥) •

**ومحبتها لخدمة الناس تابعتها باستمرار وكانت سبب
المعجزة الأولى للمسيح فى عرس قانا الجليل** • فلما رأت ان
الخمر قد فرغت ، وأصبح الأمر محرجا لأصحاب العرس اذ ليس
لديهم ما يقدمونه للمدعوين ، تحنن قلب العذراء عليهم ،
وتشفعت فيهم لدى ابنها الحبيب حتى يحل لهم الاشكال
ثم قابلت الخدام وقالت لهم « مهما قال لكم فافعلوه » (يو ٢ :
٣ - ٥) • ومن أجلها أجرى المسيح المعجزة وفرح الناس
فى عرسهم •

سبب مكانة العذراء

هذه العذراء المتواضعة الخدوم هى التى اختارها الرب
لانسحق نفسه ، ورباها التربوية التى تمهدا لهذا
الانسحاق •

تربية العذراء واثرها في سموها :

لم يختار الرب فتاة مدللة قد تربت في القصور وتنعمت بمتع الدنيا ومادياتها • وانما اختار فتاة يتيمة مسكينة ، مات أبوها وهي في السادسة من عمرها ، وماتت أمها وهي في سن الثامنة • وعاشت العذراء في الهيكل ، اذ كانت نذيرة للرب •

وكان لنذرها للرب قصة : كانت أمها « حنه » عاقرا •

فبكت أمام الرب ، وصلت ، ونذرت أن تكون ثمرة بطنها للرب ، ان أعطاها الرب نسلا • وسمع الرب طلبتها وطلبة زوجها « يواقيم » ، الذي كان هو أيضا صائما ومعتكفا ومصليا من أجل هذا الموضوع عينه • وبشرهما الرب بميلاد العذراء • وحبلت حنه وولدت ابنتها القديسة ، فوهبتها للرب ، وتربت في الهيكل •

ان الكنيسة المقدسة وان كانت تحتفل دائما بأعياد

استشهاد القديسين أو نياحتهم ، وليس بميلادهم ، الا انها بالنسبة الى العذراء بالذات ، تحتفل بميلادها ، في عيدين وليس في عيد واحد : تعيد بميلاد العذراء في أول بشنس ، كما تعيد للبشارة بميلادها في ٧ مسرى . لقد كان ميلاد العذراء هو بدء الأفراح ، لأنه ميلاد المستودع الذي يحل فيه رب المجد ••• ولأنه علامة على أن الرب قد بدأ يرضى على الأرض ، وأنه قد قرب زمان افتقادها • انه مولد العذراء القديسة ابنة الأصوام والصلوات ، وابنة المواعيد أيضا •

ولما أتمت الصذراء مدة طفولتها ، أخذتها أمها بوسلتها
لهيكل الرب ، فعاشت فيه ، وتربت وسط التسابيح والمزامير
والصلوات ، ووسط التقدّمات والقرايين والذبائح والبخور .
تربت مع الفتيات المختارات وكان الكلّ معجبا بها . وأقامه
هكذا حتى الثانية عشرة من عمرها ، حيث نقلت الى بيت
يوسف البار ، ليرعاها ويحفظها

تقديس الكنيسة للعدراء :

انها في نظر الكنيسة أعلى من الملائكة ورؤساء الملائكة .
نذكرها في صلواتنا وألحاننا قبل الثلاثة العظماء المنبرين
ميخائيل وجبرائيل وروفاثيل رؤساء الملائكة . بل اننا نقول
لها في التسبحة . . ارتفعت يا مريم فوق الشاروبيم ، وعلوت
يا مريم فوق السارافيم ، . . . هي في نظرنا السماء الثانية
التي استحققت أن تكون عرشا لله الكلمة .

نذكرها في الأجيّة وفي القداس وفي كل كتب الكنيسة :

في السنكسار ، وفي الدفنار ، وفي القطمارس ، وفي
الابصلمودية ، وفي كتب المردات والألحان . . . في صلوات
الأجيّة ، نذكرها في القطعة الثالثة في كل ساعة من ساعات
النهار متشفعين بها . ونذكرها في قانون الايمان ، اذ نقول
في مقدمته « نعظمك يا أم النور الحقيقي ونسجدك أيتها العدراء
القديسة والدة الاله . . . » .

نضع صورتها باستمرار على يمين الخارج من الهيكل ،

(مز ٤٥ : ٩) • ويقدم لها الكاهن البخور عند خروجه
الهيكل وهو يقول « السلام لك أيتها المثلثة نعمة ...
وعلى الجانب نضع صورة المسيح مع يوحنا المعمدان ، متذكر
قول المرتل « قامت الملكة عن يمينك أيها الملك ..

نذكرها في صلاة البركة ، أولا وآخرها • نذكرها
جميع القديسين • فنبدأ البركة « بالصلوات والتضرع
والابتهالات التي ترفعها عنا كل حين والدة الاله القديس
الطاهرة مريم » • وبعد أن نذكر أسماء الملائكة والرسول
والأنبياء والشهداء وجميع القديسين ، نختم بها البر
فنقول « وبركة السيدة العذراء أولا وآخرها » • وه
نذكرها في صلاة المجمع في القديسين قبل جميع القديسين

ونعيد لها - غير عيدها الشهري - سبعة أعياد رئيس
في السنة : عيد البشارة بميلادها ، وعيد ميلادها ، و
دخولها الهيكل ، وعيد دخولها مع الرب الى أرض مصر ، و
نياحتها ، وعيد صعود جسدها الى السماء ، وعيد بناء
كنيسة على اسمها • أما عيدها الشهري فهو في اليوم الح
والعشرين من كل شهر قبطي • يضاف الى هذا أننا نصوم
صوما على اسمها هو ١٥ يوما يهتم الناس به اهتمام
كبيراً ...

وما أكثر الكنائس والأديرة التي بنيت على اسم العذ
غالبية الكنائس في مصر على أسماء العذراء ، أو مارجرجيد
أو الملك ميخائيل • لا نستطيع أن نحصى بالتدقيق الكنا

التي تحمل اسمها ، أما من جهة الأديرة : فالى جوار دير
العدراء للراهبات بحارة زويلة ، توجد على اسمها ثلاثة أديرة
للرهبان : دير البراموس ، ودير السريان بوادى النطرون ،
ودير المحرق بالصعيد . . . ان العدراء قد نالت شهرة
كبيرة فى مصر ، وبخاصة لأنها زارت مصر مع ابنها الحبيب ،
ولها فى كل مكان ذكريات خاصة بزيارتها أو خاصة
بمعجزاتها .

**على ان السبب الاول لشهرة العدراء لم يكن هو معجزاتها،
وانما قبل كل شيء فضائلها . . . وسنحاول أن نتأمل بعض
هذه الفضائل اذ لا يمكننا أن نلم بجميعها :**

تكلما فى أول هذا الفضل عن اتضاع العدراء . ونود
الآن أن نتحدث عن صمتها وتأملها .

صمت العدراء وتأملها

انه صمت ممزوج بالاتضاع والتأمل .
لقد رأت هذه القديسة ما لم يره أحد . رأت الكثير من
المعجزات والرؤى . ومع ذلك لم تتكلم ، ولم تفتخر ، لا قليلا
ولا كثيرا . بل يلخص الكتاب موقفها الوقور العجيب ،
وتصرفها الروحى العميق ، فى عبارة واحدة هى :

**« وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام ، متفكرة
به فى قلبها » (لو ٢ : ١٩) .**

ثرى العذراء ملاكا يبشرها ، وتسمع عن ملاك ظهر لزكريا ،
وعن ملاك ظهر للرعاة مع جمهور من الجند السماوى مسبحين .
ولعل يوسف قد أخبرها بأمر الملائكة الذين ظهروا له فى
الأحلام . ولكنها لا تتحدث عن شىء من هذا ، بل « تحفظ
جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها » . لم تفتخر بشىء من
جميع الأعاجيب التى حدثت لها ، بل لفتها جميعها بغلاف من
الصمت يخيل الى انها لم تتكلم الا عندما تحدثت
للانجيليين القديسين عندما كتبوا أناجيلهم .

أعاجيب كثيرة حدثت معها فى مصر ، ومع ذلك لم تتحدث
عنها مريم ، ولم يذكرها لنا الانجيليون ، بل كانت القديسة
مريم « تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها » لم
نعرف أعاجيب الرب فى مصر الا عن طريق التقليد ، عن
طريق التاريخ . حفظه لنا الذين رأوه ، والذين حدثت معهم
المعجزات . أما مريم فظلت صامته

**لا شك أن معجزات كثيرة أخرى قد أجراها الرب فى فترة
الثلاثين سنة من حياته التى سبقت خدمته . وكان يعيش هذه
الفترة فى بيت العذراء . ولا شك أن أعاجيب أخرى رأتها
العذراء فى حياة الرب ، فى كماله فى تصرفاته ، فى سيرته
المقدسة ، فى علاقاته مع الناس . ولكنها صمتت ولم تذكر لنا
شيئا من كل ذلك وكانت تحفظ جميع هذه الأمور متفكرة بها
فى قلبها . وبقية هذه الثلاثين سنة من حياة المسيح لغزا**

كان التأمل بالنسبة اليها أعمق من الحديث والاعلان .

كان التأمل غذاء لروحها ، أما الحديث ففيه تشتيت لتأمل القلب . أو لعلها من عجب ما رآته ، كانت في حالة من اندهش في الروحيات لا تسمح بالكلام ، أو يقف الكلام معها عاجزا عن التعبير . أو لعل العذراء أسكتت فمها ، ليتكلم قلبها ، مع الله .

ما أعجب قلب العذراء ، كيف أمكنه أن يتسع لكل ما رآته وسمعتة . . . ان قلبها كنز عجيب للروحيات . ما أجمل قول داود « خبأت كلامك في قلبي » (مز ١١٨) .

لماذا صمتت العذراء ؟ هل بدافع من التأمل ؟ أم بدافع من الاتضاع ؟ أم لانشغال قلبها بالصلاة الدائمة فما بقي لها وقت للكلام . ومن لذة حديثها مع الله ، لم تجد فرصة للحديث مع الناس . أم أنها صمتت زهدا فيما قد تسمعه من مديح الناس ، اذا فتحت فمها وتكلمت ، وكشفت ما في أعماقها من أسرار . . . في الواقع يا أخوتي لست أجد جوابا عن شيء من هذه الأسئلة . كل ما أستطيع أن أفض به هو أن أقول لأمنا القديسة :

ان في صمتك سرا لن يرى قدس أقداسه الا الصامتون

يذكرني صمت العذراء الى حد ما بصمت آباءنا السواح :

لا شك أن أولئك القديسين السواح قد رأوا في حياتهم الشيء الكثير من عمل الله معهم ، ومما وهبه لهم من تأملات ، وما كشفه لهم من اعلانات . ومع كل ذلك ظلت حياتهم مغلقة بالصمت . ولو تحدثوا عن خبرات يوم واحد ، أو روحيات

يوم واحد من حياتهم ، لامتلأت مكتباتنا بالمجلدات ، لكنهم رأوا حياتهم مع الله لونا من ألوان المتعة الروحية ، ولم يحبوا أن يقطعوا تلك المتعة بالحديث ... هكذا العذراء .
ان العذراء الصائمة المتأملة ، هي درس عميق لنا .

انه درس تقدمه لنا هذه القديسة العظيمة التي تربت في الهيكل ، وعاشت طفولتها وشبابها في حياة الصلاة . وعندما اختارها الرب لخدمته ، كانت ممثلة من الروح ، على الرغم من صغر سنها ...

ليتنا مثلها ، نتأمل كثيرا ، ونتحدث قليلا . ليتنا نقضى الوقت في التأمل والصلاة ، بدلا من الكلام . ان القديسين الذين أتقنوا الصمت - ومنهم العذراء - صمتوا مع أن كلامهم كلام منفعة . ونحن كثيرا ما نتكلم ، ولا منفعة من كلامنا ، بل قد يعثر وقد يضر . كم هو الأحرى بنا - في وقت الكلام غير النافع - أن نضع أمامنا نصيحة أيوب الصديق حينما قال « ليتكم تصمتون صمتا ، فيكون ذلك لكم حكمة » (أي ١٣ : ٥) . ما أجمل أن نتعلم من هذه الطفلة القديسة الوقورة التي تصرفت هكذا في عمق الروح ، وهي في حوالى الرابعة عشرة من عمرها ...

ان مريم العذراء قد عوضت سمعة حواء . أقامت توازنا لسمعة المرأة في العالم . انها أرجعت للمرأة الكرامة التي فقدتها . لولاها لكان جنس المرأة عموما يعيش في وصمة عار . أما بسبب العذراء فقد ارتفعت قيمة المرأة . وكما أنه بسبب

سقوط المرأة قد دخلت الخطية الى البشر جميعا ، كذلك بامرأة
أخرى هي العذراء القديسة أشرق نور المسيح على العالم .
وهكذا وجدنا في العهد الجديد كرامة واضحة للمرأة . . .

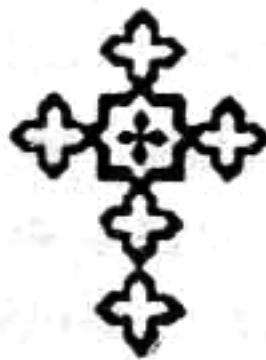
نساء كثيرات كن يخدمن السيد المسيح . وفي ذلك نجد
أن لوقا البشير بعد أن ذكر أسماء مريم المجدلية ، ويونا ،
وسوسنة ، قال « وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن »
(لو ٨ : ٣) . وقد ذكر الكتاب اسمي مريم ومرثا أختي
لعازر ، وقال في ذلك « وكان يسوع يحب مرثا واختها ولعازر ،
(يو ١١ : ٥) . وقد مدح السيد المسيح المرأة الكنعانية ،
وقال لها « يا امرأة ، عظيم هو إيمانك » (متي ١٥ : ٢٨) .
ودافع عن المرأة التي ضبطت في الخطية ، وأظهر أنها لم

تكن أشر من الرجال الذين ضبطوها . ودافع عن المرأة التي
بللت قدميه بدموعها ، وشرح للفريسي الذي لامها في قلبه
كيف انها أفضل منه . (لو ٧) . ودافع الرب أيضا عن المرأة
التي سكبت الطيب على رأسه . وقال لتلاميذه « لماذا تزعجون
المرأة فانها قد عملت بي عملا حسنا . . . الحق أقول لكم
حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم ، يخبر بها فعلته
هذه تذكارا لها » (متي ٢٦ : ١٣) .

وحول الصليب نجد النساء يتبعن الرب في الوقت الذي
هرب فيه تلاميذه . وفي هذا يقول القديس متي الانجيلي
« وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد ، ومن كن قد
تبعن المسيح من الجليل يخدمته . وبينهن مريم المجدلية »

ومريم أم يعقوب ويوسى، وأم ابنى زبدى « (متى ٢٧ : ٥٥ -
 ٥٦) • **وتحت الصليب كانت غالبية الوقوف من النساء** •
 وفى ذلك يقول يوحنا الحبيب التلميذ الوحيد الذى تبع المسيح
 الى الصليب « وكن واقفات عند صليب يسوع : أمه ، وأخت
 أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية » (يو ١٩ : ٢٥) •••
 ويذكر لنا الكتاب كيف ذهبت النسوة مبكرات الى القبر •
وكيف أن المسيح فى قيامته ظهر أولا لمريم المجدلية
 (مر ١٦ : ٩) • وكيف أنه كلف هذه المرأة المجدلية مع
 مريم الأخرى أن تذهبا لتبشير تلاميذه (متى ٢٨ : ١٠) •
 وكيف عاد فكلف المجدلية بهذه المهمة مرة أخرى (يو ٢٠ : ١٧)
وهكذا عرف تلاميذ المسيح بشرى القيامة أولا من المرأة •

وما أكثر النساء اللائى ساعدن الرسل فى خدمتهم
 وكرازتهم • وما أكثر أسماء النساء اللائى ذكرهن القديس
 بولس فى رسائله • وفى علية صهيون كان التلاميذ يصلون
 ومعهم النساء (أع ١ : ١٤) • **وأول كنيسة فى العالم كانت**
بيت امرأة هى مريم أم القديس مرقس حيث كان التلاميذ
يصلون (أع ١٢ : ١٢) •



الغن ٢٠ قرشاً

فَلَمَّا كَلَمَ



إن ميلاد السيد المسيح يثير
في القلب مشاعر وأفكار، أعمق
من أن يسطرها قلم .
وإذ نحاول أن نصوغها في
الفاظ، لبيت الألفاظ تستطيع
أن تستوعب وأن تشرح .
وخلال ذلك نسأل عن :
فاعلية الميلاد في حياتنا،
ما مدى إستفادتنا روحياً
من إخلاء الرب لذاته؟
ومن مجيئه في ملء الزمان؟
ومن تسميته (عمانوئيل)؟
ومن روحيات أمنا العذراء؟
إن الصفحات التي أمامك،
تحاول أن تطرق كل هذا .

شنوده الثالث